مجلد كامل - ١١٠

Orient Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg / Br.
Inv.
Az 14/8

المقتطف

٧

الجزء الاول من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ يناير سنة ١٩٤٧ — ١٧ صفر سنة ١٣٦٦

النساطرة في أسيا

إشتهرت مدينة « أنطاكية » بأنهـا من أولى مدن المسيحية التي قام زعماء الدين فيها بأول حركة من تلك الحركات الفكرية التي كانت ذات أثر كبير في شيوع الفلسفة ، وفروع الفلسفة اليونانية خاصـة . ذلك بعد مناظرات لاهوتية طويلة ممضَّـة . وقام بالحركة في « إنطاكية » معلمان يقال لأحدهما « ديودوروس » (١) والآخر « تيودوروس » (٢) المَصِّيصي ، وكانا شديدي الاعتقاد في اكتمال الناسوتية في المسيح عليه السلام .

وكان أكبر المؤيدين لهذا المذهب راهب من رهبان إنطاكية يقال له « نسطوريوس » (٣) انتقل إلى القسطنطينية أسقفاً لها في سنة ٤٢٨ م ، وتبع تأييد « نسطوريوس » لهذه الفكرة

---

(١) Diodorus (٢ Theodorus of Mopsues'a (٣) Nestor and the Nestorians نسطور بطريرك القسطنطينية من ٤٢٨ الى ٤٣١ م . أسقطه مجمع أفسوس متهماً بالهرطقة ، وتوفي في سنة ٤٣٩ م . والنساطرة أتباعه ، وقد انكروا اتحاد طبيعتين في شخص المسيح ، وقالوا بأنه شخصيتين منفصلتين ، وان اتحاد تينك الشخصيتين معنوي محض . وبعد مجمع أفسوس أسس النساطرة مدارس الرها ونصيبين وسلوقية ، ثم طردوا بمقتضى ارادات امبراطورية الى بلاد فارس ، حيث استقروا ونشروا تعاليمهم ، ومن ثمت انحدروا الى الهند ثم الى الصين . وحوالي سنة ١٤٠٠ م اضطهدهم تيمورلنك المنولي ، فهدمت مدارسهم وزالت معالمها ، وفي القرن السادس عشر اندمجت بقيتهم في الكتلة الرومانية

مناقشات حادّة حتى انتهى الأمر بعقد مجلس دينيّ في مدينة « أفسوس » سنة ٤٣١ م ، فانتصر حزب الاسكندرية ، وهو الحزب القائل بما يضاد المذهب النسطوريّ ، واعتبر « نسطوريوس » وأتباعه هراطقة (١) .

أما النساطرة فكانوا على اعتقاد كامل في أن نظراءهم بعيدون عن حكم العقل والضرورات الطبيعية . لذلك سعوا ، بعد مضي عامين على حكم مجلس « أفسوس » الى جمع شملهم ، وعلى الرغم من مطاردتهم والإستبداد بهم ، نزلوا مصر واتخذوها مقرًّا لبث تعاليمهم .

* * *

قبيل ذلك العهد أغلقت مدرسة نصيبين (٢) ، أو بالأحرى انتقلت إلى الرُّها (٣) ، وفي سنة ٣٦٣ م ، سلمت مدينة نصيبين إلى الفرس تنفيذاً للمعاهدة التي عقدت إثر الحرب التي أشعل نارها الامبراطور « يوليانوس » (٤) ، وكان رجال مدرستها منتشرين في الممالك المسيحية إذ ذاك ، فعادوا الى التجمُّع في الرُّها ، وفتحوا مدرسة سنة ٣٧٣ م ، وبذلك أصبحت تلك المدينة ، ولو أنها في أرض تابعة للامبراطورية البوزنطية (٥) ، مركزاً للكنيسة التي ينطق زعماؤها باللسان السرياني .

أصبحت مدرسة « الرُّها » بعد ذلك موطناً لأفراد من زعماء النساطرة الذين تقبلوا

---

(١) Heretics : يونانية معربة ، وهم المارقون من الدين ، والهرطقة : المروق

(٢) نصيبين : Nisibis : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام (معجم البلدان ٢٩٢ : ٨) وكانت تدعى أيضاً « انطيوخية موغدونية » : Antiochia Mygdonia في العصر القديم . وهي عاصمة اقليم موغدونية : Mygdonia في ما بين النهرين ، وفي بقعة من أخصب بقاع العراق . وكان من أكبر البلدان التجارية ، فضلا عن موقعها الحربي العظيم (Classical Dictionary : 605 606) .

(٣) الرها (بضم الراء) : Edessa : وكانت تدعى في العصر القديم « انطيوخيا قليرغوية » Antiochia Callirrhoe مدينة من أقدم المدن في شمال الجزيرة ، وكانت عاصمة اقليم أوسروينية Osroëne ، وبجوار الرها قتل الامبراطور قراقلا سنة ٢١٧ م . (Classical Dictionary p. 308) واسمها بالرومية أذاسا ، والنسبة اليها رهاوي . بنيت في السنة السادسة من موت الاسكندر بناها الملك سلوقس (معجم البلدان ٣٤٠ : ٤) ، (٤) Julian (٥) The Byzantine Empire .

حكم مجلس « أفسوس » . غير أن الامبراطور « زينون » (١) أغلق تلك المدرسة في سنة ٤٣٩ م ، بحجة أن صبغتها نسطورية متطرفة ، فلم يجد أهلها من موئل سوى الهجرة الى البلاد الفارسية ، فهاجروا ومعهم كبيرهم « بارصوما » (٢) سنة ٤٥٧ م .

نجح « بارسوما » في أن يقنع فيروز (٣) ملك الفرس بأن النساطرة يوالون أبناء فارس ويمضون خاضعين لقوانينهم ، وظلوا على عهدهم هذا عاكفين في كل الحروب التي وقعت من بعد ذلك . ثم أسس النساطرة مدرسة أخرى في نصيبين فأصبحت بورة تشع منها التعاليم النسطورية ، تلك التعاليم التي كوّنت وجهاً من أوجه المسيحية مصبوغاً بالصبغة الشرقية البحتة .

ومن ثمت انتشر النساطرة في جوف آسيا وبلاد العرب ، يذيعون تعاليم المسيحية ، ولم يكونوا عاملين على نشر المسيحية لاغير ، بل أرادوا أن ينشروا معها تعاليمهم الخاصة في طبيعة المسيح ، فأخذوا يستعينون على بث أفكارهم بأقوال ومذاهب متنوعة من الفلسفة اليونانية ، فأصبح كل مبشر نسطوري بحكم الضرورة معلماً في الفلسفة اليونانية ، كما أنه مبشر بالدين المسيحي (٤) .

كان السبب الذي حفز النسطوريين إلى نشاطهم هذا ، نشاط أبداه نظراؤهم القائلون بالطبيعة الواحدة ، وندعوهم الوَحديطَبَعيُّون (٥) (في المسيحية) والوحديطبعي (٦) هو أحد القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة ، وبمعنى أشمل واحد من طائفة نصرانية يعتنق فكرة أنه ليس للمسيح غير طبيعة واحدة متحدة أو مندلجة ، جزء منها قدسي (إلهي)

---

(١) Zeno : امبراطور بوزنطي (٤٧٤ — ٤٩١ م) وكان ، ايزورياً Isaurian بالولد وهو ابن زوجة الامبراطور ليون الاول. وقد اشتهر في التاريخ بأنه قمع عدة ثورات ؟ وهو الذي أغرى ثيودوريك Theodoric أحد ملوك القوط الشرقيين بأن يغزو ايطاليا ، وكذلك أعلن الانوطيقون Henoticon ، وهي معاهدة تفاهم عقدت بين زينون وثيودوريك ، على ان يترك هذا مناوأة الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وينقض على « أودوسر » فيملك منه ايطاليا

(٢) بارسوما Barsuma : أسقف نصيبين في ما بين النهرين (٤٣٥ — ٤٨٩ م) وهو المؤسس الاكبر للكنيسة النسطورية في شرقي أسيا (موسوعة سنشوري ص ١٢٤) .

(٣) Piruz

(٤) راجع كتابنا تاريخ الفكر العربي (١٩٢٨)

(٥) Monophysites

(٦) Monophysite

وجزء منها بشري ، على العكس من المعتقد الارثوذكسي ، القائل بأنه بالتجسد نشأت طبيعتان كل منهما مستقلة عن الأخرى ، القدسية والبشرية ، اتحدتا من غير أن تختلطا أو تطغى إحداهما على الأخرى في شخص المسيح .

* * *

ولقد انقسم الوحديطبيعيون أقساماً وتفرقوا شيعاً . ومن أقدم هذه الشيع شيعة « الأوتوخيين » (١) أتباع أوتوخس » (٢) الذي اتهمه المجمع الخلقيدوني (٣) في سنة ٤٥١ م وتنحصر تعاليمهم في القول بأن المسيح ليس له غير طبيعة واحدة هي الطبيعة القدسية (الالهية) . أما الوحديطبيعيون الأصلاء ، فيقولون بأن الطبيعة القدسية والطبيعة البشرية ، إندمجتا في المسيح فصارتا واحدة .

إن أوائل القائلين بهذا المذهب ، ومؤسسوا الكنيسة القبطية في مصر هم ديوسقورس (٤) الذي اتهمه مجلس خلقيدونية (ومات سنة ٤٥٤ م) وطيموثي أو طموثيوس أيلوروس (٥) (الملقب بالهر) الذي صار بطريركاً في سنة ٤٥٧ م. وكان سفروس (سويرس) (٦) أعظم رجال هذا المذهب حوالى سنة ٥٢٠ م . في حين كانت طائفة أخرى منهم تدعى اليوليانية. (٧) وانتشر الوحديطبيعيون في سوريا انتشاراً واسعاً في خلال القرن السادس وسموا اليعاقبة نسبة إلى يعقوب بارادايوس (٨) (وهو يعقوب السروجي) أسقف الرها (٥٤١ — ٥٧٨ م) ، وقد انقسم الوحديطبعيون أكثر من ثلاثين فرقة :

ان كان « نسطوريوس » قد اتهم أمام الكنيسة ، وصدر حكم مجلس « أفسوس » عليه فإنه ترك الكنيسة أمام مشكلة من مشاكلها العظمى ، التي ظلت تعمل في رؤوس الناس زماناً ،

Dioscorus (٤) Chalcedonian Council (٣) Eutyches (٢) **Eutychians** (١)
Timothy Ælurus (٥)

(٦) Severus (٧) Julians (٨) يعقوب بارادايوس : Jacob Baradæus وهو يعقوب السروجي Jacob Siruge : مؤسس شيعة اليعاقبة النصرانية انتشرت في سوريا وما بين النهرين وغيرهما ، وهي فرع من المذهب الوحديطبعي ، ونسبت هذه الشيعة اليه ، وهو سوري الاصل رسم اسقفاً للرها حوالي سنة ٥٤١ م ، ورأس هذه الكنيسة يدعى بطريرك انطاكية

حتى انتهت المناقشات الشيعية بمجمع عقد في سنة ٤٤٨ م بمدينة « خلقيدونية »[١] وكانت نتيجته أن أخرجت فئة أخرى من الكنيسة الرئيسة ، هم فئة المعتقدين بالطبيعة الواحدة في المسيح.

اضطهدت امبراطورية بوزنطية الشيعة اليعقوبية . ولكن أعضاءها لم يخرجوا عن حدود الامبراطورية ، بل ظلُّوا في داخلها قسماً مستقلاً بصورة خاصة من أصحاب الطبيعة الواحدة (الوَحْديطَبَعِيُّون)، وأرسلوا طائفة منهم في خارج الامبراطورية تبث تعاليمهم. على أنّ هؤلاء قد اتبعوا نفس الطريقة التي اتبعها النساطرة في ترك لغة نظرائهم في الدين ، وعمدوا الى استعمال اللغة القبطية واللغة السريانية . وفي الحق أن عصر اللغة السريانية الذهبي لا يبدأ إلاّ برجوع اليعاقبة عن استعمال اللغة اللاتينية ، الى اللغة السريانية .

إذا تأملنا من النتائج التي ترتبت على خروج النساطرة واليعاقبة ، استطعنا أن نفهم لماذا ترجمت أعمال الفلاسفة اليونان إلى اللغة السريانية . بينا نجد أن الحركة النسطورية قد أصبحت بالتدريج الوسط الذي تركزت فيه ثمار التثقيف اليوناني ، وانتشرت في آسيا عبر حدود الامبراطورية البوزنطية في خلال بضعة القرون التي تقدمت انتشار الاسلام .

إذن فالمذهب النسطوري قد انتشر في فجاج أسيا ، ولكن إلى أي مدى كان انتشاره ، وإلى أي حد بلغ أثره ؟ مما يدل دلالة قاطعة على ذيوع المذهب النسطوري في أسيا وعظم انتشاره واستفاضة تعاليمه في هذه القارة ، ما ننقله هنا عن كتاب « النصرانية في الصين[٢] » تأليف « هوك » ، وكتاب « الديانات العشر العظام » تأليف « كلارك »[٣] ، واليك هو :

---

(١) لم تذكر المدينة في معجم البلدان وانما ذكرما يأتي :

« الخلقدونة ويروى الخذقدونة : هو الصقع الذي منه المصيصة وطرسوس وقد ذكر في موضع قبل هذا ، وهو في الاقليم السادس حول خمسون درجة وعرضه سبع وأربعون درجة (٣ : ٤٥٨) وفي معجم الاعلام القديمة : خلقيدونية : مدينة إغريقة في بيثونيا : Bithynia على شاطىء فروبنطس Propontis عند مدخل البوسفور ، وتواجه تقريباً مدينة بوزنطية ، أسستها جالية هبطت ذلك المكان من ميغارا Megara سنة ٦٨٥ ق . م . ولأنها تقع في مكان أقل شأناً من المكان الذي تقوم فيه بوزنطية ، سمتها الكهانة « مدينة العميان » انظر اسطرابون ص ٣٢٠ ، وحوليات طاقيطوس ج ١٢ ص ٦٣) ، وبعد أن ظلت زماناً مدينة مستقلة ، سقطت تحت سلطة ملوك بيثونيا الذين نقلوا معظم أهلها الى مدينة نيقوميديا : Nicomedia الجديدة (سنة ١٤٠ ق . م .) وأعاد الرومان تحصينها ، وجعلوها المدينة الاولى في ولاية بيثونيا أي فونطيقا فريما : Pontica Prima كما سموا هذه الولاية ، وقد محاها الاتراك محواً .

Ten Great Religions : James Freeman Charke (٣) Christianity in China : Huc (٢)

« في سنة ١٦٢٥ كان جماعة من العمال الصينيين يعملون في حفر جدار لاقامة بيت في خارج أسوار مدينة « سي ـ نجاو ـ فو » Si - Ngau - Fou ، عاصمة مقاطعة « تشن ـ سي » Chen - Si ، فعثروا على حجر تذكاري يشبه تلك الأحجار التي اعتاد الصينيون أن يقيموها لتنقل الى الأخلاف تذكارات أحداث كبار أو ذكريات عن عظماء الرجال . والحجر عبارة عن لوح من الرخام الأسود ، تبلغ مساحته عشر أقدام طولاً في خمس عرضاً ، وعلى صفحة منه نقش بالصينيـة القديمة ، مع بعض حروف غير معروفة في الصين » .

« وعنى « اليسوعيون » الذين رأوا هذا الحجر بأخذ نُقُول منه أرسلوها الى أوربَّا . وقد أودع واحد من هـذه النقول بمكتبة البيت اليسوعي في روما العظمى ، حيث كان محط الأنظار وسبباً في اجتلاب الزُّوَّار . وبعد ذلك بقليل أخذت نسخة بمقياس اللوح نفسه وأرسلت الى باريس وأودعت المكتبة العامة بشارع ريشليو ، وربما رئيت الى الآن في متحف المخطوطات » .

« هذا الأثر الذي استكشف في أنقاض منسية في ضواحي عاصمة قديمة من عواصم الامبراطورية الصينية ، قد أثار عاصفة من العجب . فإنه عنـد ما بحث وعولجت نقوشه لمعرفة معانيها ، ظهر مع العجب أن الديانة النصرانية كان لها في الصين رسل كثيرون في بداية القرن السابع الميلادي ، وانها ظلت مزدهرة هنالك زماناً طويلاً . أما الحروف الغريبة غير المعروفة في الصين ، فقد اتضح أنها من تلك التي كان يستعملها سكان سوريا القدماء ، وتعرف باسم الخط الاسترانجيلي(١) estrangélhos : وقد يعثر بها في مخطوطات سريانية تتقدم القرن الثامن الميلادي » . وهذه ترجمة ما نقش في هذا اللوح : —

« تذكار الانتشار الأعظم للعقيدة النورانية في الامبراطورية الوسطى ، الفه « كهنج

---

(١) وفى الموسوعة البريطانية ج ١ ص ٦٨٤ (a) ما يلي : استعمل نصارى سوريا الشمالية نوعاً من الالفبية العربية تعرف باسم استرانجيلي Estrangelos ، وهذه نقلها مبشرو النسطوريين الى أسيا الوسطى ، فاتخذت هنالك أصلا لعدد عظيم من الالفبيات التي انتشرت حتى اقليم منشوريا ، وجاء في الجزء ٢٢ من هذه الموسوعة :

Documents have also been found in Estrangelo (two fomrs) , Brahmin, and even Tibetan. p. 618; 22 a.

ـ تسنج : Khing-Tsing ، زاهد معبد « تا ـ ثسن » : Ta : Thsin »

١ — « يوجد على الدوام سبب واحد حقيقي ، هو الأول ولا بداية له ، فائق العلم ، غير مادي ، وهو الآخر ، وفيه تنحصر كل الكمالات . هو الذي أقام قطبي السماء ، وخلق كل الموجودات قدسي كلي القداسة ، كما هو منبع الكمال هذا الموجود الباهر ، أليس هو الثالوث : Triune الملك الحق الأبدي : أو لُوهُو » (١) .

« قسم الدنيا بصليب أربعة أقسام . وبعد أن حلل الهواء الأوَّل (الأصلي) خلق العنصرين . نُظِّمَ العماء ، ومن ثمت ظهرت الشمس والقمر . وجعل الشمس والقمر يدوران ليكون الليل والنهار . هو جَبَلَ الأشياء التي عدَّتها عشرة آلاف وكمَّلها . ولكنه عند ما خلق الانسان الأول زوّده بأُلفَةٍ نقية تامة ، وأوصاه بأن يرعى ذلك البحر اللُّجيّ الذي يغمره من الشهوات . وكانت طبيعته خلو من الرذيلة ومن الخطأ . أما قلبه ، وكان بسيطاً نقيًّا ، فقد كان في المبدإ خالصاً من النزوات المهوّشة » .

٢ — « غير أن « سا ـ ثَنْج » : Sa-Thang روَّج الأكاذيب ، ولوَّث بخبثه ما كان نقيًّا قدسيًّا . أعلن وأكد أن ما يعلن هو الحق ، مبدإ التساوي في العظمة ، فاستطاع أن يقلب الأفكار جميعاً . ومن هذا نشأ خمس وستون وثلاثمائة شيعة ، (٢) عاونت كل منها الأخرى في سلسلة طويلة ، وحاكت ، على حد ما يقال ، شبكة من الشرائع ، وَضعَ بعضها المخلوق محل الباقي ، وأنكر بعضها وجود المخلوقات وهدمت المبدأين معاً (٣) وشرع بعضها الصلوات والقرابين ليحصلوا على الخير . وتظاهر البعض بالزهد ليخدعوا الناس ، وراحت عقول الناس تعمل في جهد جاهد وملأها الريب والقلق . وانقطع التطلع الى الخير الأسمى ، وظلوا هائمين من غير أن يحصلوا على شيء وانحدروا من سيء الى أسوأ منه . واشتدَّ الظلام وغلظ ، وعميت بصيرة الناس ، فمضوا يهيمون على وجوههم ، عاجزين عن استرداد ما فاتهم (٤) .

٣ — هنالك امدَّ إلَـهُنا الثالوثي بجوهرة الأقدس ، السيد « مي ـ شي ـ هو »

---

(١) الله

(٢) هذا بعدد أيام السنة ولعل المقصود بالشيع هنا طقوس دينية تدور مع أيام السنة ، لكل يوم طقسه الخاص

(٣) لعل المقصود مبدأ الخلق ومبدأ الخالق .

(٤) لعل في ذلك وصفاً لحالة الخلق قبل خلاص الانسانية بصلب المسيح كالمعتقد النصراني

Mi-Chi-Ho (المسيح) فَـغَـشى على عظمته الحقيقية ، وظهر في الدنيا على صورة إنسان ، . وفرح بذلك ملائكة السماء ، وولدت عذراء قديساً في « تا ـ تسن » . ولقد هتفت لهذه المناسبة السعيدة كوكبات السماء العظمى . وشهد الفارسيون ذلك البهاء ، فسارعوا الى الطاعة والخضوع . ولقد تحقق بذلك ما بشَّرَ به الأربع والعشرون قديساً منذ أزمان بعيدة. ونظَّمَ بناموسه ووصاياه الأسر والممالك ، ووضع ديانتـه على أساس الفكرة الصحيحة ، فكرة التثليث في الوحدة . وجعل الايمان الحق حاكماً للضمير . وأعطى الناس الوصايا الثماني ، وطهَّر الانسانية من دِنيَّـاتها بأن فتح الباب للفضائل الثلاث (١) .

« لقد نَشر الحياة وقضى على الموت . وعلق الشمس المضيئة لتقضي على مقر الظلام ، فقضى بذلك على أكاذيب الشياطين . لقد وجَّـه سفينةَ الرحمة نحو حرم الضوء ، فنجا بذلك كل المخلوقات ذوات الذكاء والعقل . وبعد أن فرغ من هـذا العمل الدّال على القدرة ، ارتفع عند منتصف النهار ومضى نحو « الحق » . وخَلَّـف سبعاً وعشرين كتاباً » .

« لقـد أوسع ينابيع الرحمة ، حتى يؤمن الناس ويدخلوا في دينه . والتعميد بالماء وبالروح شريعة تطهِّـر النفس وتجمِّـل المظْـهر . وعلامة الصليب تجمع نواحي الدنيا الأربع ، وتعيد تلك الألفة التي ذهبت . فاذا قرعنا على قطعة من الخشب ، جعلنا صوت البرِّ والرحمة تتجاذب أصداؤه . أمّـا إذا قرَّبنا قرباناً متجهين نحو الشرق ، فإنَّـا بذلك نعرف طريق الحياة النظيمة » .

« يرسل رؤساؤنا لحاهم ، ليظهروا بذلك تفانيهم في سبيل جيرانهم (٢) . أما اللاَّطِـئة (٣) التي يلبسونها على رؤوسهم ، فالدلالة على أنهم انصرفوا عن الحياة الدنيوية . ولأن تمنح العبد حريته ، فانك تصبح حلقة الوصل بين القوي والضعيف . إنَّـا لا نجمع المال والغِـنى ، ونقسم مع الفقير ما نملك . والصَّـوْم يقوي القدرات العقلية ، والإباء عن الطعام والاعتدال ، يحفظان الصحة . نتعبَّـد سبع مرات كل يوم ، وبصلواتنـا نساعد الأحياء والأموات . ونقرّب قرباناً في اليوم السابع ، بعـد أن نُطهّـر قلوبنا ونتلقى الحَـلّ من معصياتنا . وهذه

---

(١) لعل المقصود بذلك روح التثليث

(٢) يظهر ان ارسال اللحى كان رمزاً على ذلك

(٣) شبه القلنسوة صغيرة تلزم على جلدة الرأس : ويستنتج ان ارسال اللحى ولبس اللاطئة كانا مظهرين من مظاهر رهبان النصرانية هنالك ، ولها دلالة خاصة .

الديانة على كمالها وحسنها، من الصعب تسميتها، ولكنها تنير وتُذْهِبُ الظلام بوصاياها . إنها تدعى « الديانة اللاّمعة » .

٥ — [١] العلم بغير قداسة لا عظمة فيه، والقداسة بغير علم لا تحدث ارتقاء . وعندما يأتلف العلم مع القداسة ويسيران معاً، فان الكون يأخذ زخرفه ويأتلق » .

« لقد جَمَّل الامبراطور « تاي – تسونج » Tai - Tsoung ملكه الامبراطوري . لقد بدأ عهد الانقلاب، وحكم الناس بقداسة . وكان في عهده رجل سامي الفضيلة يقال له أولوبن » : Olopen جاء من مملكة « تا – ثسن » : Ta-Thsin ولقد هَدَتْهُ السحب الزرق فحمل إنجيل العقيدة الصحيحة، واتبع أحكام الرّياح، فاستطاع أن يخترق مفاوز عصيبة مُدْنِيَة للحتوف » .

« في العام التاسع من حكم « تشنج – كوان » : Tching-Kouan (٦٣٦) وصل الى « تشانج – نجان » : Tchang-ngan فأمر الامبراطور وزير الامبراطورية الأول، وكان يدعى « فانج – هي – وِنْ – لِنج » : Fang - hi - wen - ling أن يذهب مصحوباً بعدد كبير من الأتباع الى الضاحية الغربية، ليقابل ذلك الغريب ويحضره الى القصر . وقد ترجمت الأناجيل المقدسة في المكتبة الامبراطورية، وتلقت الحاشية تلك العقيدة، وتأملت منها مَليًّا، وفهمت وحدة الحق العظمى، وصدرت وثيقة خاصة تجيز إذاعتها ونشرها » .

« وفي السنة الثانية عشرة من حكم « تشنج – كوان » : Tching-Kouan وفي خلال القمر السابع منها، حيث كان الخريف، أذيعت الوثيقة مضمّنةً ما يأتي :

« ليس لهذه العقيدة اسم خاص، وليس للقدسية جوهر محدود، إنها تنظّم ديانات توافق أمماً مختلفة، وتحمل الناس على طريقتها زمراً وذرافات . إن « أولوبن » Olopen أحد « أهالي تا – ثسن » : Ta-Thsin وهو رجل سامي الفضيلة، ويحمل الأناجيل والصور، قد حضر ليقدّمها إلينا في البلاط العالي . وبعد بحث لم يتجاوز مداه لحظة واحدة في روح هذه الديانة، إتّضح أنها حسنة دقيقة ترمي الى السلام، وأن التأمل من مبدئها الأصيل

---

[١] لم يذكر الاصل رقم « ٤ » بين ٣ و ٥ ،

يُسري أنها تولّد الـكمال وتركز الارادة . إنها مفيـدة للناس ، فينبغي أن تنشر في كل مكان تظله السّماء . ولهذا أمر الحُـكّام أن يقيموا معبد « تا ـ أسن » في الناحية المسمّاة « تا ـ ننج » : Ta-ning من المدينة الامبراطورية ، وأن يخصَّص للخدمة فيه واحد وعشرون من رجال الدين » .

١٠ — [١] إن « سو ـ تسونج » : Sou-Tsoung الامبراطور المستنير الذائع الصيت ، قد أقام في « لنج ـ أو » : Ling-ou وغيرها من البلاد ، بلغت في المجموع خمس ، معابد لامعـة . وبذلك قويت شكيمة الخير الأول ، وازدهرت الهنـاءة . وأقيمت في بعض الأحيان قِدّاسات فيها المهابة والوقار ، وخطت الامبراطورية في طريق فسيح من السعادة » .

١١ — « إنّ تاي ـ تسُونج : Tai-Tsoung (٧٦٤) وهو امبراطور محارب مثقف قد استمر في تأييد هذا الانقلاب ، وجعل همَّـه محصوراً في السلام والهدوء . وكان في كل سنة عند حلول ساعة الميلاد (عيد الميلاد) يحرق البخُـور ، السّمَـاوي ، إحياءً لذكرى الخير القدسي ، ويقيم الولائم الامبراطورية ليبارك الجمهور اللاّمع (النصارى) .

٢١ — [٢] نصب هذا التذكار في السنة الثانية من حكم « كين ـ ثشونْج » :Kien-Tshoung أحد أفراد أسرة : « ثانـج » : Thang العظيمة (٧٨١ م) في اليوم السابع من ربع القمر الثاني . وكان « ننج ـ شو » : Ning-Chou راعي هذه العقيدة ، رئيساً لأبناء الدين اللامع في مملـكة الشرق » .

هذه ترجمة الـكتابة التي وجدت على الأثر الذي عثر به في « سي ـ نجَـاو ـ فُـو » سنة ١٦٢٥ م . وقد أجمع النقاد على أن في العبـارات ما يدل على نزعة نسطورية أكيدة . والراجح أن الذين نشروا هذا المذهب في تلك الأصقاع ، جماعة من النساطرة عبروا دجلة والفرات ، ثم دخلوا خراسان ، ووصلوا امبراطورية الصين من مقاطعة « شنسي » Chen-Si

ولقد أثار هذا الـكشف كثيراً من النقود والبحوث ، اشترك فيها « فولتير » وغيره من النقاد والـكاتبين ، وقد نأتي على طرف منها في بحث آخر .

اسماعيل مظهر

---

[١] ليس في الاصل ارقام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩, [٢] هكذا في الاصل ولا توجد أرقام بين (١١) و (٢١)

الفكر العربي

لا يزال في الاغلال

شيوخ نجد وشيوخ مصر

بمناسبة كتاب « هذي هي الاغلال »

أصدر العالم النجدى الأستاذ عبد الله علي القَصِيمي كتابه «هذي هي الأغلال» يريد به أن يجرب المسلمون والعرب الحياة بعد أن جربوا الموت طويلاً ، فهبت عليه عواصف الرجعية والجمود من كل مكان ، في مصر وفي المملكة العربية السعودية ، وقاموا يرمونه بكل سهم وجدوه حتى لقد استعانوا بالكذب والوشاية وبما هو أقل منهما ندراً . وتاريخ النضال بين الرجعية وبين أنصار التقدم و الوثوب تاريخ طويل ، زاخر بالبطولة والنبل من جهة ، والنذالة والصغار من جهة أخرى. والإنسانية أجمع مدينة بكل ما لديها من علوم وأفكار وآداب وحضارات وصناعات ، وأديان أيضاً ، لهؤلاء الرجال القلائل الذين يوهبون الجرأة على الباطل الموروث وعلى التقاليد الآخذة بالمخانق وعلى الأصنام المرفوعة وعلى كل نقص وضعف قديمين. ولو أننا تصورنا البشرية محرومة من هؤلاء الرجال البسلاء لما كان هنالك بد من أن نتصورها تحبو في مطلع وجودها الفطري البدائي المهين ، عاجزة عن الوقوف على قدميها. وقد تقدم البشر في العصور الأخيرة تقدماً عظيماً من حيث الإستعداد لقبول الجديد من الأشياء ونبذ القديم الذي يثبت فساده أو نقصه أو عجزه عن تحقيق الأهداف العليا للحياة السعيدة الصالحة . وقد عدت أوروبا وأمريكا اليوم نموذجين واضحين في هذا الإستعداد . ومن أجل هذا استطاعتا أن تسيرا في خطوات سريعة دائبة إلى هذا التفوق الذي أوقع العالم كله تحت سيادتهما الظافرة . أما نحن — والشواهد على ذلك كثيرة متلاحقة — فلا نزال حيث كانت البداية الفكرية ، وحيث كان الجمود الصارم العنيد . وقد يكون من شواهد هذه القضية السيئة، هذه الضجات والصرخات التي تنطلق ملعلعة حول كل ومضة فكرية أو وثبة عقلية يقدم عليها — في ركام من الركود والهجود — أحد الذين رزقوا هذه الموهبة الإنسانية النادرة التي لا تستطيع بيئتها الخاملة الكسول أن تمنحها الإنطلاق الموقود في

سبلها المرسومة وإن أقرب الشواهد على هذا الخمول والكفران الذهني لدينا — معشر العرب أو معشر المسلمين — هذا الرجفان المزلزل من الاباطيل والأكاذيب ضد هذا الكتاب : كتاب « هذي هي الأغلال » والمهم هنا جدًّا أن نعرف من هؤلاء المتناصرون المتحالفون لمحاربة هذا الكتاب ، وما هي الأغراض الحقيقية الخفيَّة التي تدفعهم أو تدفع أكثرهم إلى خوض هذه المعركة ، وما الذي يجب أن يصنعه أولو الفكر والرأي والأمر لرد هجومهم وللأخذ على أيديهم — إذا كنا حقًّا راغبين في أن نسلك الجادة التي سلكها الناجحون في الحياة الصانعون لها ، وإذا كنا أيضاً نريد أن نتقبل هذه الحياة تقبل الاحرار المشاركين في التبعات ، لا تقبل العبيد الذين تفرض عليهم حياتهم ووجودهم فرضاً ! !

إن الذين نهضوا لحجب هذا الضياء هم فريقان من حيث المكان : فريق هنا في مصر حيث تضج بالأضواء والأفكار والصناعات التي أبدع في إيجادها ذلك العقل الذي تفلت من أغلاله ، وفريق في الحجاز ونجد حيث يدأب ذلك العقل العربي العبقري — الملك عبد العزيز — على إحياء الموات وايجاد الحياة وجلب الخضرة الى تلك الآكام الجرداء والى رؤوس الحجارة الصماء ... ولكل من الفريقين المتحالفين في هذه الحرب أغراض ودوافع . أما الذين يقاومون الكتاب في الحجاز ونجد فهم فريقان أيضاً : أحدهما أولئك الغرباء الذين جمعتهم المطامع وشهوات الحياة الرخية حول عرش ذلك الجواد العظيم ، ثم ثانيهما أولئك الشيوخ النجديون أو الحجازيون الذين ينكرون أن يكون في الدنيا ما يطلب أو ما يتعلم سوى كتب الفقه والتوحيد . أما أولئك الغرباء الحافون بعرش طويل العمر من مستشارين وموظفين ، فهم ينكرون هذا الكتاب لأنهم يعلمون أن سلطانهم ومجدهم موقوتان بوجود الليل في بلاد العرب ، وإنهم حينما يطلع النهار هناك يشدون رحالهم لا محالة الى حيث كانوا قبل أن يبدأوا هذه الرحلة السعيدة الموفقة . وحينئذٍ يفقدون كل ما وجدوا في عالمي الجاه والمال . إذ هم يعرفون من جهة أخرى أن هذا الكتاب كتاب « الأغلال » — هو بمثابة النهار الذي يشرق فيهزم الظلام ويلزم الذين يعملون في الظلام بأن يكفوا عن العمل ، وأن الشعب الذي يقرأ مثل هذا الكتاب لا بدَّ أن يحب المعرفة ولا بدَّ أن يتعلم ، ويومئذٍ يفقد هؤلاء الغرباء السعداء ميزتهم التي بها استغلوا تلك

البلاد وأصبحوا جباة أموالها . ولو أن أهل هذه البلاد قرأوا أمثال هـذا السفر وأجابوا نداءه ونهلوا من ينابيع المعارف والعلوم ، لكان هؤلاء الضيوف خارج حدود البلاد من أزمان . أنهم يعرفون كل هذه الأمور معرفة جيدة وهم من أجل هذه المعرفة يناوئون كل نور قد يتسلل على غفلة منهم إلى موضع مجدهم وسلطانهم الطويل العريض ، وهم من أجل هذه الحقيقة أيضاً يحسّنون — بلا اخلاص ولا تقوى — لأهل البلاد حالتهم ويوحون إليهم بألاّ يغيروها لأن في تغييرها — على حسب زعمهم وقولهم — ضياع الدين والخلق والسعادة . وهم إذن على قول من يقول : « الغاية تبرر الوسيلة » غير مخطئين ولا ملومين . ولكننا نحن المخطئون الملومون يوم نجهل أهدافهم ومساعيهم وما يحاولون ويريدون .

* * *

أما المحاربون لهذا الكتاب من شيوخ نجد والحجاز فهم جماعة من الذين سجنت أفكارهم منذ وجدوا في كهوف مظلمة صنعتها أفكار مظلمة في عهود مظلمة ، فلا أمل في أن يتقبلوا بسهولة وسرعة هـذا الضياء الذي يحمله هذا الكتاب ولا عجب في أن يثوروا وينكروا . ولا ريب أيضاً في أن بعض هؤلاء الشيوخ الذين قاوموا الكتاب إنما حملهم على مقاومتهم هذه علمهم بأن من الأفضل والأبقى لمصالحهم الشخصية الخاصة ولملكهم الروحاني القاهر أن يبقوا وأن يبقى كل شيء كما هم وكما هو . وآخرون من الشيوخ هم من الغرباء أيضاً الذين ذهبوا هناك يطلبون الصيد . فلا مندوحة لهم عن أن يقاوموا ما قد يطير بعض صيدهم من أيديهم المغتصبة الرخوة .

وكم عانى جلالة الملك عبد العزيز — هبة الجزيرة العربية بدون نزاع — من هؤلاء الشيوخ حينما أحبَّ أن يدخل الى بلاده ما لا بدَّ منه من حسنات هذه الحضارة وضروريات هـذا العصر . . وقد حرموا استعمال السيارة والتلغراف والتليفون والراديو والساعة في بعض الأوقات ! ! وزعموا أن ذلك كله ، لا يعدو أن يكون من أعمال الشياطين . وقد اضطرَّ جلالة الملك منذ سنين تحت ضغطهم المتواصل القوي أن يأمر بوقف استعمال بعض هـذه الأمور مدة من الزمان وبتحطيم الاجهزة ، وهم لا يزالون حتى اليوم يحرمون العلوم — غير

علوم الدين — ويمنعون افتتاح المدارس !! وحسبك أن تعلم بأنه لا توجد حتى اليوم في العاصمة — الرياض — مدرسة حتى ولا ابتدائية . وهذا بسبب مقاومتهم ومنعهم مع حرص جلالة الملك وكثيرين من رجال الدولة الأصلاء أن تنتشر العلوم والمدارس في أرجاء المملكة . ومن أغرب ذلك وأشنعه أنهم إذا وجدوا كتاباً في الحجاز مكتوباً عليه مثلاً : « كتاب الطبيعة » استنكروا ذلك وعدّوه ضرباً من ضروب المروق والاشراك بالله ، وهم يلزمون بأن تزال من الكتب كلمة « الطبيعة » ولا يقبلون في هذا الأمر جدالاً . ونحن نشهد أن الملك عبد العزيز عبقري عظيم حيث استطاع أن يسير بدولته وبشعبه في هذه السبيل بين هؤلاء الخرافيين الجامدين .

وأننا لا نشك لحظة في أن مثل هذا الملك الفذ العبقري لا يمكن أن يحكم أمثال هؤلاء الشيوخ في مثل مؤلف كتاب « الأغلال » أو في كتابه ولا أن يقضي عليه بما يقولون ويزعمون ، بل لا نشك في أن القضية ستكون معكوسة أي أن الأستاذ القصيمي هو الخليق بأن يكون رأيه وكتابه هو الحكم المقضي بما فيه مع مخالفيه .

ان الأمم كلها لتفاخر بالممتازين من رجالها المفكرين وتعمل على الانتفاع بهم وبمواهبهم العقلية ، وتعد هؤلاء الرجال القلائل هم أعظم فضائلها ومفاخرها . هذا في الأمم التي يكثر مفكروها ، فكيف بأمثال أممنا التي عقمت عن أن تلد من هؤلاء إلاّ القليل في الزمن القليل . ومن ثمة فليس لدينا ذرة من الشك في أن جلالة الملك عبد العزيز وسائر الأمراء ورجال الدولة الأصلاء ، سيحاولون أن تنتفع البلاد والشعب بهذا الكتاب وبكاتبه . لا أن يسمعوا فيه أقوال الجاهلين والجامدين والوشاة المغرضين .

أما الذين يقاومون الكتاب من المصريين فهم عبارة عن شيخ شهر بالتبلد والجهل في بلده مصر وفي الحجاز الذي هاجر إليه مرتزقاً ، ثم رجع منه مطروداً يحمل أوزاره وفضائحه الخلقية والعلمية على كتفيه . هذا أحد المقاومين ، ثم جمعية دينية يديرها جماعة من الشبان الذين يعدّون على أصابع اليد . ونحن لا نتهم هؤلاء الشبان في اخلاصهم ولكننا نتهمهم في عقولهم . ويكفي تدليلاً على هذا أن يكتبوا في الشيخ محمد عبده والسيد الأفغاني وأن يقولوا أنهما كانا منافقين وفاسقين وداعيتين للاستعمار ، وأنهما كانا يؤلفان الجمعيات

السرية لهدم الاسلام . وأن يكتبوا ويقولوا مثل هـذا القول في سعد باشا زغلول وفي كل رجل من رجال الدولة والوطن والدين كالشيخ المراغي والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ شلتوت ، وفي أمثال علوبة باشا وأمين الحسيني مفتي فلسطين وفي كل رجل له شأن في وطنيته أو في دينه . وعلى رغم أننا نعتقد أنهم مخلصون ، فاننا نرى أنهم من أجرإ خلق الله على الاختلاق وعلى الاتهام بالباطل : وهـذا طبعاً ليس من صفات المؤمنين الأتقياء ، ولـكنها الغرارة الدينية الطائشة والخصومة التي تقع من غير الرجال ... وثمة خصم ثالث لهذا الـكتاب وهو رجل يتعاطى صناعة الأدب الصناعي ولـكن مقاومتـه لهذا الـكتاب والأسلوب الذي اختار للمقارنة كانا برهانين على براءته من كل صلة بالأدب بكل معانيـه ومبانيه . هؤلاء هم خصوم هذا الـكتاب في مصر لا غير . أما أحرار الفـكر وقادة الرأي فقد أجمعوا بلا استثناء على امتداحه والدعوة إليه وعلى أنه العـلاج لأمراض الأربعمائة المليون المسلم الذين عجزوا لشدة أمراضهم عن أن يسايروا ركب الحياة .

* * *

والذي نحب أن نشير اليه اشارة قصيرة من هؤلاء الخصوم الثلاثة هو الخصم الأول ، هو رئيس جماعـة من الجماعات الدينيـة الجامدة . والذي نريد أن نقوله هنا انه في معارضته ومقاومته لم يفعل فعل الأتقياء المتدينين الذين يزعم انه من أفضلهم أو على رأسهم — بل لم يصنع صنع الرجال المحـترمين الذين يعرفون أن لهم مكانة في الهيئـة الاجتماعية يجب أن يحافظوا عليها ، وحرمة لا بد أن يرعوها ، والا فهل يعرف البشر أن رجلاً محترماً يقيم لنفسه وزناً — أو يظن أن الناس يقيمون له وزناً — يعمد الى كتاب مطبوع يملأ الأيدي والمـكتبات يحاول الرد عليه أو هدمه على حسب ادعائه ، فينقل منه عبارات وفقرات ويحرّفها تحريفاً فاضحاً حتى يزعم أنها باطلة وأنها يجب الرد عليها وأن كاتبها كافر ؟ فيجيء مثلاً الى هذه العبارة في الـكتاب : « وقد عمل الاسلام اعمالاً باهرة لا تُـكْـفَـر . . . » فينقلها هكذا بعد أن عمل لها مقدمة وشرحاً يوضح غرضه المحرف

المكذوب — : « وقد حمل الاسلام أعمالاً لا تكفى...» (فأبدل بالراء ياءً) وهكذا يكثر من هذا التحريف في الردود التي كتبها ليرد بها على الكتاب. وقد أتى كل صنوف التحريف المعروف عند البشر — زاد ونقص واختزل وغير ... ونحن نحب أن يعرف كل من يقرأ لهذا الشيخ أن كل ما ينقله من عبارات الكتاب وألفاظه — دع ما فهمه منه فهماً — محرف بأحد وجوه التحريف المذكورة فلا حجة بما يقول ويكتب إلاّ لدى من لم يوهبوا الملكات الانسانية التي أحد معانيها التمييز والفهم لما يقرأ ويرى. وكفى أن نقول أنه طرد من الحجاز. ولماذا ؟ ذلك ما نترك القول فيه له هو، فليس من شأننا أن نقول في ذلك شيئاً الاّ اذا حملنا على ذلك.

***

كتاب « هذي هي الأغلال » في اعتقادي أنه هو كتاب العصر في موضوعه وفي القضية التي عالجها، وأنه لا حياة للعرب أو المسلمين ما لم يأخذوا بالأفكار الصارمة التي ضمنها والتوجيهات الحية التي جاء بها . . . إنه الكتاب الذي يجب — في رأيي طبعاً — أن يفرض على المعاهد العالية أجمع ليستطيع القيام بعملية تطهير عامة قوية من ركاكات الماضي وسخافات التقاليد وبقايا الضعف الذهني والاعتقادي والديني — تلك البقايا التي تلازم من يتخرجون في الجامعات وفي المعاهد العالية فيأتون — على رغم تعليمهم العالي عاجزين عن النجاح في الحياة وعن الابداع فيها — بل عاجزين عن الانتفاع بكل ما لقنوا من علوم ومعارف عالية. والسبب الأكبر في هذا العجز هو ما ذكرنا من سلطان الماضي السخيف العتيد الذي جاء هذا الكتاب ليجعله أحاديث ومزقاً

***

وكتاب كهذا لا شك عندنا في أنه لن يلقى لدى سيد الجزيرة وأمرائها ورجالها إلاّ التأييد والنصر الأكيد.

مسلم حر

المحاكم المختلطة

في تاريخ مصر القديم

بمناسبة قرب الغائها

قد لا يعرف إلاّ القلة أن هناك ما يسمى « بالمحاكم المختلطة » في مصر القديمة أنشئت لغرض خاص وزالت بزوال الظروف ، فمصر القديمة كما كانت مهداً للحضارات ، كانت كذلك وطناً للتشريع والتقنين . ولم تقل عناية الشعب والقائمين على شؤونه بهذه الناحية الاجتماعية عن عنايتهم بعباداتهم وتقديسهم لآلهتهم، وذلك لأن العدل أساس الملك والعدالة شرط لابدَّ منه إذا أريد للدولة الحياة وللامة البقاء .

فلا عجب إذن أن نرى للعدل إلاهة تدعى «معات» تهيمن على ممثليها في الأرض كالملك والوزراء والقضاة وسائر الأفراد . فالمعبودة «معات» هى التي ينتسب إليها القاضي ويدعى كاهنها ، و«معات» هذه هي التي كانت تتحلى بتمثالها الصغير من القلادة التي يلبسها القاضي، حول عنقه عند النظر في القضايا. ولعلها في ذلك الوقت كانت تشبه صورة مليك البلاد باعتباره حامياً للقضاء وكان هذا التمثال يوضع في كل قاعة من قاعات العدل ليطمئن المظلوم ويرهب الظالم

ولتعميم العدالة في البلاد أنشئت في مصر القديمة محاكم من نوعين ، مدنية وجنائية — وكان اختصاص المحاكم المدنية الفصل في المنازعات العقارية من انتقال ملكية أو بيع أو شراء أو هبة أو وصية أو ميراث أو إيجار وما إلى ذلك — وكانت المحاكم المدنية على ثلاث درجات : —

١ — محاكم كانت تعقد في القرى أو المدن الصغيرة وكان يطلق عليها عادةً في اللغة المصرية القديمة إسم « جاجات » بمعنى مجالس قضائية. وكان القضاة ينتخبون من الطبقة الخاصة من الموظفين المعروفين باسم « سرو » أي « الكبار » وكانت تعقد جلسات هذه المحاكم بإشراف حاكم القرية .

٢ — الثانية محاكم عواصم الأقاليم أو بالمصرية القديمة « حات ور» أي البيت الكبير وكانت تنظر في القضايا التي تشبه تلك التي تنظر أمام محاكم الدرجة الأولى وينتخب قضاتها من طبقة كبار الموظفين السابقة . وكانت تعقد جلساتها برياسة حاكم الأقاليم — ووزير العدل هو الذى كان يعين قضاة محاكم الدرجتين الأولى والثانية .

٣ — الثالثة وهي محاكم استئنافية تنظر أمامها قضايا محاكم الدرجة الأولى والثانية وتسمَّى « سوني حات ور » ويختار قضاتها الستة من أعضاء مجلس العشرة وكان الوزير بصفته وزيراً للعدل والملك هو الذي يعين قضاة هذه المحاكم الاستئنافية .

ومما هو جدير بالذكر أن القاضي كان يعرف في المصرية القديمة باسم « ساب » أي المصلح إشارة إلى مهمة القاضي والغرض من القضاء ، وهذا النوع من المحاكم لم يلازم الشعب المصري القديم في جميع عصوره ، بل تحوَّل مع مرور الزمن . ففي عصر الوحدة الثاني (الدولة الوسطى) ظهر نوع آخر يعرف باسم « قنبت » واستمرَّ في عصر الوحدة الثالث (الدولة الحديثة) وامتاز بأن يجلس للحكم في القضايا الجنائية عدد من القضاة يتراوح بين ستة وثمانية. وكانت المحاكم الاستئنافية لهذا النوع من المحاكم تسمى « قنبت » ما واستمر الحال على هذا المنوال حتى عصر البطالمة فبقيت هذه المحاكم الوطنية لتطبيق القانون المصري في النزاع بين المصريين والفصل في قضاياهم وسميت باليونانية « محاكم الـ Laocritae »

أما الأغريق فكانت تطبق عليهم القوانين الأغريقية في محاكم أفريقية تسمى محاكم الـ « Chrematistae » إذا كان فريقا النزاع منهم ، وهي تشبه المحاكم القنصلية. ولكثرة نزوح الأغريق إلى مصر بعد غزو اسكندر الأكبر لمصر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم قيام أسرة ملكية جديدة للبطالمة .

ولما زاد عدد الأجانب الذين وفدوا على مصر وكثرت المداولات التجارية مع وجود اختلاف بين القوانين المصرية المحلية والأغريقية ونشوء المنازعات بين الأجانب والمصريين واختلاف اللغة الأغريقية عن المصرية القديمة وضرورة الفصل في هذه المنازعات، أنشئت محاكم جديدة عرفت باسم « Koinodikion » أي « محاكم مختلطة » إبتدائية في الفيوم أو الإسكندرية وطيبة ومحكمة استئناف مختلطة في الإسكندرية (مقر الملك) تضم عدداً من القضاة اليونان أو المقدونيين والمصريين .

ولما انقضى الغرض الذى من أجله أنشئت هذه المحاكم زالت بزواله . وفي الوقت عينه تقلص حكم الدولة اليونانية المعروفة بدولة البطالمة وحلت الامبراطورية الرومانية محله .

ولعلنا نجد فسحة من الوقت لنوافي القارىء بتفاصيل هذا النظام بين القضايا التي وصلت إلينا .

دكتور باهور لبيب

عين شمس

الامين في المتحف القبطي

كتاب ملخص

ألعوبة الحرية

(هذه قصة كبيرة وضعها الكاتب الانجليزي المعروف فيلبس أوبنهايم ، تحوي كثيراً من طرائف مغامر أمريكي ، وكثيراً من فضائح الطبقات العليا في انجلترا. ولما كان فيها مشابهة لكثير مما عندنا ، رأينا تلخيصها هنا ، وخاصة ما يتعلق منها بحرب الانتخابات البرلمانية ، فكثيرون من الناس يظنون أن الاساليب التي يتبعها المتنافسون على النيابة قاصرة على مصر ، ولكن لها أشباهها في أرقى البلاد المتمدنة)

كانت جلسة النبيل الانجليزي السيد وولمزلي ، هذه الليلة في أحد مطاعم لندن الكبيرة على مائدة واحدة مع السيد يوسف پاركر الأميركي . وابنته الحسناء الآنسة حواء .

ولم يكن بين النبيل الانجليزي وبين الامريكي ، وابنته معرفة سابقة ، ولكن المستر پاركر قدم نفسه للشاب الانجليزي على أنه رجل أفاق . وابنته فتاة أفاقة !

واستنكف النبيل الانجليزي ان يقدم رجل اميركي نفسه الى رجل لا يعرفه بهذه الصفة وفي أول مرة يلقاه فيها . فكاد يتركه ويتخلص منه ، لولا أن جمال الفتاة الغالب أبقاه ، عند ما جلست معه ، فرأى فيها جاذبية غريبة .

ولكن المستر پاركر كان رجلاً مشتبهاً فيه لدى رجال البوليس ، ولعلّ المستر پاركر ألقى بنفسه على هذا النبيل الانجليزي — عند ما تخيل فيه ملامح النبلاء ، حتى يستطيع أن يتخلص من رجال البوليس اذا داهموه ، بادعائه أنه صديق لهذا النبيل !

وكان مع الأميركيين رجل آخر ، ومعه حزمة صغيرة في جيبه . فطلب إليه پاركر أن يخرجها ويضعها على المائدة ، ففعل . وما لبثت أن اختفت تلك الحزمة والمستر پاركر يقول : كان في إمكاني أن أنشلها من جيبك دون أن تشعر ! .

وفي تلك اللحظة أقبل أحد ضباط البوليس السري الانجليزي ، واتجه إليهم ، ووضع يده على كتف المستر پاركر وحياه ، وطلب إليهم في أدب أن يصحبوه الى حجرة داخلية

للتفتيش ، بحجة سرقة بعض الملاعق والشوك ! .

واحتجَّ المستر پاركر على هذه الاهانة التي ستلحق بصديقه النبيل الانجليزي ، واحتج النبيل الانجليزي على هذا الادعاء ، فهو لم يعرف المستر پاركر من قبل حتى يسميه صديقه ! .

وذهب پاركر وزميله مع الضابط . ثم عادا ليتناولا عشاءهما الذى طلبه الأميركي وهو ذاهب مع الضابط ، الى أن يعود ، فقد كان واثقاً من عودته السريعة لأنه لم يسرق شيئاً ، والحزمة التي كانت مع الأفّـاق الآخر اختفت ! .

ورأى النبيل الانجليزي نفسه مسوقاً إلى أن يتصل بالرجل الأميركي وابنته الجميلة ، وهو لا يدري لذلك سبباً إلاّ دافعاً خفيًّا نحو الفتاة .

* * *

واتضح للنبيل الانجليزي أن هذا الأميركي يعرف الكثير جدًّا عن معظم الأشخاص الذين يمرون بهم ، وعن أبناء لندن نفسها . ولعله كان يعرف الكثير عن (وولمزلي) ولكنه أخفى ذلك عنه .

وعجب وولمزلي أن تنحدر فتاة بهذا الجمال الى تلك الأعمال الاجرامية ، فقالت له إنها وأباها يعيشان بهذه الوسيلة ! .

وتشاء المصادفات أن يرتكب الأميركي بعض أعمال النشـل أمام النبيل الانجليزي ، فيجد النبيل في ذلك تسلية بالرغم منه ، ويجد نفسه مسوقاً معهما ، ولكنه في نفس الوقت كان لا يفتأ يحاول إصلاح الفتاة ، وتهذيب الرجل ! .

واختلط الأميركي وابنته بكل أوساط المجرمين واللصوص في لندن الكبيرة ، وفي أندية القمار ، وانغمر النبيل الانجليزي معهما ، ولم يفلح في حملهما على الإقلاع عن تلك الحياة ، ولم تشفع له مساعدتهما على السرقات ، وعلى الخروج من بعض الورطات التي وقعا فيها ! .

واتفق الأميركي مع لص انجليزي خطر على الذهاب الى دار (الأوپرا) ذات ليلة ، فلما سأل النبيل حواء لماذا تفضل الأوپرا على غيرها قالت له وقال والدها : لأن (الشغل) هنالك أربح وأضمن .

ولما ذهبوا إلى هنالك ، كانت شقيقـة النبيل مع زوجها ، وهو لورد ، وكانت جلسة

الأميركي وابنته ، واللص الآخر بمقربة منهما . وكان في الصف الأمامي زوجة أحد أصحاب الملايين ، وهي تتحلى بعقد ثمنه عشرون ألف جنيه .

ومال اللصان وتهامسا ، وعرف النبيل أنهما يتآمران على سرقته ، وكان ! .

ولم تتبين النبيلة سرقة عقدها إلا عند الانصراف ، فأغلقوا الأبواب ، ولم يدعوا إلا النبلاء يخرجون . وبحث صديقهم فلم يقع لهم على أثر ، فأسرع الى المطعم الذي اعتادوا اللقاء فيه ، فوجدهم هناك ، ووجد العقد الثمين بين يدى المستر پاركر الأميركي يتفرج عليه هو وإبنته ! .

ولم يكد الانجليزى يراهم ويرى العقد مع صديقه اللص ، حتى طلب إليه أن يخفيه ولكن الأميركي لم يطعه ، وظل يتأمله حتى دهمهم ضابط البوليس السري الذي يتتبع خطوات الأميركي وإبنته وقد رآهما منذ قليل في الأوپرا ، فأخذ يراقبهما ، ولكن الأميركي اختفى عن ناظره كالمسحور . فلما اكتشفت السرقة عرف أن الأميركي هو السارق ، أسرع خلفهم ، ودهمهم والعقد بين أيديهم ، فساقهم الى مركز البوليس ، ولشد ما أدهش النبيل الانجليزي أن جاء الخبير في الجواهر فقرر أن العقد زائف ، فأطلقهم البوليس واعتذر رئيسه ! .

وفي صباح اليوم التالي وجد النبيل الانجليزي العقد الحقيقي في جيبه ، فأرسله الى صاحبته ، من لص تائب ! .

***

وتكررت أمثال هذه الحوادث كثيراً ، ولكن الحادثة التي ساعدهم فيها النبيل الانجليزي مساعدة حقة ، هي عند ما كانوا في المطعم الكبير ، وقد اصطحب الامريكي لصاً انجليزياً آخر كبيراً ، وقرر معه نشل رجل أخرج حافظة نقوده من جيبه وأخذ يتأملها ، ولعله كان من رجال البوليس . وقد نصبوا هذا الفخ ليوقعوا الأميركي الذي دوخهم بسرقاته وعبقريته في السرقة ! .

ونشلت الحافظة بمهارة عجيبة ، وأقبل ضابط البوليس السري يجري وأمسك بتلابيب الأميركي وزميله اللص الآخر .

وساقهما إلى مركز البوليس ، ولكن النبيل ترك الفتاة التي يحبها — بنت الأميركي — جالسة في المطعم وأسرع لعله يستطيع انقاذ والدها ، وأحاط بهم رجال البوليس ، ولكن الأميركي الماهر تمكن من اعطاء الحافظة للنبيل الانجليزي الذي كان أسرع من الأميركي في نشلها منه بمهارة عجيبة ، ووضعها في جيب صاحبها الأول !

وتركهم ضابط البوليس وهو يعض شفتيه ، وقد أدرك أن النبيل الانجليزي هو الذي فعل ذلك ، لأن الأميركي وزميله الآخر كانا محوطين برجال البوليس السري . وهز الضابط رأسه ، ولعله كان يفكر في تدبير آخر !

وعادوا ثانية الى حواء قبل منتصف الطريق !

* * *

ونصح الضابط السري للنبيل الانجليزي أن يبتعد عن ذلك اللص وابنته لأنهما مشبوهان وهما ان أفلتا من قبضة القانون اليوم فلن يفلتا منه إلى الأبد ، فسيقعان في يده يوماً ما ...

وليس من الكرامة أن يكون أحد النبلاء محلاً للشبهات ؟

والقانون لا يرحم ...

فإذا ضبط النبيل معهما أثناء تلبسهما بارتكاب حادث سرقة ، اتهم بما يتهمان به ، ولكن النبيل لم يرتدع وكان كل غرضه أن يتزوج من الفتاة وينتشلها من تلك الحياة ، فيعرض عليها الزواج فتصده عنها أولاً في رفق ولين ، ثم تعود فتغلظ له ثم تلين ، ولكنه لا ييأس ...

وعرض عليها ماله لتنفق منه هي وأبوها مرة وأخرى ، ولكنها قاطعته محتدة وطلبت إليه أن يكف عن هذا ...

ولما صحبهما إلى أحد أندية القمار القذرة ، ورأى أساليب المقامرين في السرقة ، ورأى كيف نشل أبوها الفين من الجنيهات كانت على مائدة القمار ، ورأى تألم الفتاة لهذه الحياة ، عاف لها ذلك ، فصمم على أن يصلحها بأية حال ... ولكنها كانت تقول أنها ليست من طبقته ، فيبدو عليه أنه ابن أحد النبلاء ، وأما هي فابنة رجل أفاق !

ويدعوهما الشاب إلى حفلة عشاء في أحد المطاعم الفخمة ليقدمهما فيها إلى أقاربه

فيرفضان أولاً ، ولكن النبيل الشاب يلحف عليهما فيقبلان ولكن على شرط أن يغير الأميركي وابنته اسمهما ، وان يحضرا الحفلة باسم آخر هو — مستر بندركوم وابنته !

ويقدمهما النبيل لاخته وأقاربه فيرحبون بهما ويحيونهما .

وتأخذ عمة الشاب تتحدث إلى هذا الأميركي — بندركوم — وتخبره أن ابنها عند ما عاد اليهم من أميركا أخذ يمتدح لها أحد الأغنياء الكبار بهذا الاسم — بندركوم — ويمتدح ابنته ، فقد أكرماه وقضى معهما وقتاً طيباً .

وتخبر قريبها الشاب أنها أرسلت في طلب ابنها ليسلم عليهما لأنه يشتاق الى رؤيتهما واكرامهما كما أكرماه . . .

ويذهب النبيل ليخبر الأميركي بالورطة التي وقع فيها بانتحال هذا الاسم . فيهرب الأميركي وابنته ، ويترك ورقة للمضيف يعتذر عن الانصراف المفاجىء . ثم يكتشف النبيل حينئذٍ ان قلادة أخته سرقت ، وحلية عمته نشلت ، وخاتماً ثميناً جداً لأحد أقاربه فقد ، فيفكر الشاب ويسرع اليهما فيجد المسروقات فيعود بها حالاً ويقول ان أحد الخدم في المطعم نشلها ، وقد طرد في الحال !

* * *

ويتقابل الشاب والفتاة فتعتذر عن سرقة أبيها حتى لأقاربه ويعرض عليها الزواج أيضاً هذه المرة فتثور فيه ، لأن أقاربه عرفوا حقيقتها هي وأبيها ، ولكن الشاب يخبرها أنه لفق السرقة لأحد الخدم !

وهنا تشكره الفتاة ، وتبدأ تحبه حباً خالصاً !

* * *

ويذهب الشاب الى حفلة أخرى فيأخذها معه .

وينشل الرجل عقداً آخر من زوجة الداعي . ولم يكن بين المدعوين من يثير الريبة غير المستر پاركر الأميركي — أو المستر بندركوم — كما أطلق على نفسه أخيراً . . !

ولكن الشاب يدافع عنهما دفاعاً حاراً . . .

ويذهب اليهما حيث يقيمان ، فيجدهما يتساران ، ولما انتهت جولته معهما عاد الى بيته ،

وذهب في صباح اليوم التالي اليهما فلم يجدهما في مقرهما الأول .

لقد رحلا !

وسأل عنهما الخادم فلم يظفر بعنوانهما الجديد ، لأنهما لم يتركاه .

ويسقط في يد الشاب ، ويخرج آسفاً مغموماً ، ولكن الخادم يسرع خلفه ويناوله برقية لاسلكية آتية من أميركا تحمل لغزاً ، فقد كانت تقول — ان ه . . . أبحر إلى انكلترا —

وقال الخادم انهما عند ما قرآ هذه البرقية ارتعبا وأخذا في حزم متاعهما !

وعرف الشاب انهما يخشيان شخصاً يطاردهما من أميركا .

وبعد قليل يدق التليفون في بيت النبيل الانجليزي ، واذا بالمتكلمة هي حواء ، حبيبته وقد طلبته اليها ، وأنبأته انهما نزلا فندقاً من فنادق الدرجة الأولى . فلما ذهب اليها وسألها السبب قالت انهما أصبحا مشبوهين هنالك ، في الفندق القديم ، وليس هناك أحسن من الفنادق الكبيرة لنفي الشبهات !.

وجلس الثلاثة يتحدثون قليلاً .

وأقبل ابن عمة وولمزلي ، الشاب الذي كان في أميركا وعرف رجلاً وابنته يحملان إسم بندر كوم ، وما كاد يرى حواء حتى أسرع نحوها وتناول يدها الجميلة بين يديه وهو يصيح — لقد رأيتك أخيراً ...

* * *

وكاد (وولمزلي) أن يصعق عند ما رأى هذا المنظر العجيب !.

وكادت الغيرة تفترسه !

إذن هذا اللص الخطر ، وابنته الحسناء ، اللذان يتسميان في انجلترا باسم باركر ، ليس إلاَّ بندر كوم ، المليونير الأميركي وإبنته ، صاحب المصانع العظيمة التي تنتج الآلات الزراعية الشهيرة التي تحمل اسمه !

ويالها من حقيقة مفزعة

ويالها من أسرار محيرة عجيبة !

***

وما كاد وولمزلي يفكر في هذا كله ، وهو أشبه بالتائه المخمور ، حتى تقف سيدة أميركية في باب الحجرة الكبيرة ، توجه الخطاب الى الموجودين في داخلها...

كانت هذه السيدة ترتدي ملابس بسيطة محتشمة ، هي الى ملابس الفقراء المحتشمين أقرب ، وتضع على عينيها نظارتين ، وتكلمت بصوت مرتفع :

«وأخيراً أعثر عليك ، يا سيد يوسف بندر كوم ، أنت وابنتك الجميلة حواء ، وأتحمل في سبيل اللحاق بكما كل مشاق السفر الطويل والتعب الذي أورثتنيه بشذوذك الغريب ! هل تعرف كيف أتيت من أميركا الى هنا ، سعياً وراءك ، وقد تركت مصالحي هناك ، واعتذرت عن حضور المؤتمر النسائي الكبير ، لألحق بك ، وأنت تهرب من بلد الى بلد ، حتى عثرت عليك أخيراً ..

« يا سيد بندركوم أيها الرجل الذي يمتلك ثمانية ملايين من الدولارات ، ويتركها وراءه . ويصحب ابنته الوحيدة حبًّا في المغامرات ، وسعياً وراءها ، ولم يكفه الفضائح التي تركها وراءه في أميركا .. انني تعبت ، تعبت !

« من هذا السيد ؟ هل أستطيع أن اتكلم في حضرته أكثر من ذلك ؟ انني أعرف السيد الآخر الذي كان معنا في أميركا »

وهنا يخبرنا وولمزلي انه خطيب حواء ، فتثور العجوز وتقول — هذا خطيب حواء ! من يدري من يكون ؟ لعله أحد اللصوص الذين تعرّف اليهم السيد بندركوم في مقهى من مقاهي اللصوص . . . لعله مجرم وضيع من هؤلاء الذين يسعى السيد بندر كوم وراءهم دائماً . . . لماذا لا تتزوج السيد الآخر ، هذا الشاب الصغير النبيل . الذى يحمل والده لقب إيرل ، إذا كان لا بد أن تتزوجي أحد الانجليز ؟ .

وهنا يقاطعها النبيل الصغير قائلاً — إن السيد وولمزلي من أسرتنا ، إنه ابن خالي ! .

وتصمت العجوز الثرثارة !

ويأتي بعد ذلك ضابط البوليس السري الذي اعتاد أن يطارد السيد پاركر — أي بندركوم — فتقول زوجته إن هذا السيد الضابط ، هو الذي أخبرها عن زوجها عند ما اعطته أوصافه وذكرت له هويته !

وتعود العجوز إلى الثرثرة ، وإلى ذكر التعب الذي صادفته في سبيل صفرها ، فتقول الفتاة حواء :

— ولماذا جئت ؟ إننا لم نطلب إليك المجيء !

— ولكني يا إبنتي أسعى وراء صالحك ...

— لست إبنتك ، بل إبنة زوجك !

— نعم يا إبنة زوجي ، ولكنك في منزلة إبنتي !

وتعود الى الثرثرة واللغط ، ويهرب الأميركي من زوجته ويجلس للشراب مع الضابط ، ومع النبيل الانجليزي ، الذي أحبه حبًّا جمًّا !

* * *

واختلى وولمزلي وحواء .

وسألها عن السبب في سلوك والدها . وسلوكها معه . هذه الحياة العجيبة ، فقالت :

— لقد أغرم والدي بحب المخاطرات . ودراسة الحياة الوضيعة ، التي يحياها اللصوص والنشالون ، وقد قرأ كل الروايات البوليسية ، ومثلها ، وبزها في الكثير ، وكل أمله من ذلك لم يعدُ الدراسة ، فالاصلاح ، فالتهذيب !

— ماذا تقصدين الاصلاح والتهذيب ؟

— أقصد ما أقول ! ان والدي ينغمر بين اللصوص والمجرمين والنشالين ، ويتظاهر بأنه أحدهم ، وهو يتقن النشل والسرقة اتقاناً عجيباً ، ولكنه إذا وجد من أحد اللصوص ميلاً الى الحياة الشريفة ، ساعده عليها !

— هذا عجيب ومحيّر !

— هو الواقع ، فكم أصلح والدي من أمور الكثيرين ، وساعدهم على الحياة الشريفة من جديد ، وسترى بعض ذلك !

— وماذا صنع بعقد زوجة المضيف الذي دعاني فدعوتكما معي اليه ؟

— رددناه اليها من (لص شريف) !

— وماذا صنع بالألفين من الجنيهات التي نشلها من منتدى القمار ؟

— لم ير أن يردهما الى صاحبهما ، لأنه مال مسروق كذلك ، ولكنه ضم اليهما الفاً ثالثة وأرسلها الى أحد المستشفيات للمساعدة على علاج الفقراء !

وجلس النبيل مع خطيبته حواء ، وزوجة أبيها ، يتناولون العشاء في المطعم القديم .

وتطلعت حواء فرأت والدها جالساً مع فتاة جميلة على مائدة قريبة .

ورآها وولمزلي ، وحاول هو وخطيبته أن يصرفا زوجة السيد بندركوم عن هذا المكان كيلا ترى زوجها ومعه تلك الحسناء ، ولكنها رأتهما !

وطلبت من السيد وولمزلي أن يذهب إليه ويدعوه ، فاعتذر ، ولكنها هددته بالذهاب بنفسها وعمل فضيحة في هذا المطعم المحترم ، فقام الشاب متألماً . واتجه الى صهره ، وابتسم ، وحياه ، وانحنى للفتاة بصحبته ، وأسرّ إليه أن زوجته جالسة معه هي وحواء ، ولكن السيد بندركوم تجاهل وقال له :

— أنت مخطيء أيها السيد ! ليس إسمي بندركوم ! إن إسمي يوسف. ه. باركر !

ولكن ... !

فالتفت الأميركي الى الفتاة الجالسة معه وسألها :

— هل تعرفين هذا السيد ، يا آنسة بلانش ؟

— كلاّ ...

— أنت مخطىء إذن أيها السيد ! لست أنا المقصود !

وعاد الشاب فأخبر العجوز ، فثارت وذهبت بنفسها ، ولكن زوجها تجاهلها كما فعل مع صهره ونادى خادم المطعم ليطردها !

* * *

وخرج الشاب وخطيبته ، وجلست العجوز تنتظر زوجها على باب المطعم ، ولكنه خرج من الباب الآخر مع حبيبته الصغيرة !

(لها بقية) حسين المهدي غنام

الشتاء

قالوا : الشِّتاءَ ، فقلت : أثقَلَ حمْلَنا ـ ثَقلتْ حُمولُهْ
قد عاث في حُسن الطبيعة حسْبما اتّجهت ميولُه
الشمس ، وهي الشّمس ، جارَ على رِسالتها رَسُوله
أُطفا توهّجها ، وأثّر في نَباهتها خُموله
وضبابُه – لا كان – وارَاها ، وشجّعه فُضوله
يا للحبيب بدا ولكن صَدَّهُ عنّا عَذوله
والجو مالَ ببرده والليل طال فَمُلَّ طوله
والشهب قد كسلت لديه ولم تنشّطها طبوله
فبدت سماء الله كالميدان مشكولاً خُيوله
والطير طُيّر أنسهُ عنه ، وأُنسيَ ما يَقوله
والغصن بين يديه عارٍ ، كاد يمحوه مُحوله
والروض قد ماتت نضارته وأبّنها ذبوله
نزل الشتاء به فأصبح لا يُرى إلاّ طلوله
وكذا المهازل لا يمثّلها لنا إلاّ مثولُه

شاعر البرارى

نتَحدَّى !

كنت أول من كتب مبيناً عن الأغراض الخفية التي تنطوي عليها شركة « الكاتب المصري » وهي شركة للطبع والنشر وبيع الورق المضغوط وغيره من أدوات الطباعة ، وراعني أن يكون الدكتور طه حسين عميل هؤلاء الذين إن تجردوا من كل شيء فلا يتجردون من أنهم هراري وسيكوريل ، ومن أسطورة أنهم من أبناء شعب الله المختار ، ومن خرافة أن فلسطين أرض الميعاد ، ومن عقيدة أن فلسطين وشرق الأردن وسوريا هي وطنهم الأول ، وأن العراق ومصر والسودان وبلاد العرب هي مجالهم الحيوي ، وأنهم أرقى الأمم وأحق الشعوب بملك الأرض ، وأنهم السلالة النقية ، يحيون بذلك الفكرة السلالية التي قامت عليها الفكرة الخاطئة في ألمانيا في عهد غليوم ، وتجلت بمظهرها الدموي في عهد هتلر.

وان لي لعقيدة لن تخرج من روعي أو تخرج معها نفسي ، هي عقيدة أن كل صهيوني يهودي أولاً ، وأن كل يهودي صهيوني بعد يهوديته ، وأن الحرب التي يشنونها في فلسطين حرب اعتداء ، وأن أنظارهم تتطلع الى الشرق الأدنى برمته ، وأن يهود العالم أجمعين ، وفي أي ركن من أركان الدنيا ، يتطلعون الى اليوم الذي يسودون فيه الشرق ، ثم من بعد ذلك يسودون الدنيا ، لأن هذا الشرق هو ولا شك مفتاح العالم المتحضر .

وقد نشرنا مع هذه الكلمات كتاباً من الدكتور « طه حسين » نشرته جريدة الدفاع في « يافا » في شهر اكتوبر من سنة ١٩٤٥ ، واحتفظنا به طوال هذه المدة أي حوالي سنة وشهرين لعلّ الدكتور وشيعته يحققون نبوءته التي تنبأ بها فيه إذ قال :

« ومن يدري لعلّ خصوم هذه المجلة يبهتون في يوم من الأيام حين يرون فيها خصومة عنيفة للصهيونية وهجوماً عنيفاً على ظالمها ودفاعاً عن العرب في وطنهم فلسطين » .

وإني أتحدّى طه حسين أن ينقل العبارة الآتية وينشرها في مجلة « الكاتب المصري » ممهورة بامضائه الكريم إن كان من الصادقين :

« أنا طه حسين المصري العربي المسلم ، أعلن على صفحات مجلة « الكاتب المصري » أن الصهيونية إفك وعدوان على العرب ، وأنها تحاول أن تخرج العرب من ديارهم أو تستعبدهم فيها ليكونوا لها خدماً وعبيداً وإني أبرأ الى الله من اليهود والصهيونية ، وأن عقيدتي العربية ، وديني الإسلامي ، يأبيان أن يكون وطن عربي مجالاً لمفاسد هؤلاء الأفاقين الذين هبطوا فلسطين بعد أن لفظتهم أوطانهم ، وإني أومن بما يؤمن به العرب أجمعين أن فلسطين إما أن تظل عربية ، وإما أن يدفن آخر عربي في ثراها » .

هيا سيدي الدكتور ، إن كنت من الصادقين فانقل هذه العبارة في « الكاتب المصري » وأمهرها « بإمضائك الكريم » ، نؤمن بأنك عربي مصري مسلم ، وإلاّ فقد لزمتك الحجة بما قيدت به عنقك من وعد صريح بأن تشن في « الكاتب المصري » خصومة عنيفة على الصهيونية ، وأن تدافع عن العرب في وطنهم فلسطين ، ولكنك سوف لا تفعل ، وغالب الظن أنك لن تفعل ، فانك لست من العروبة بحيث تفعل .

ولا نتحدّاك وحدك بل نتحدّى معك كل شيعتك من الذين أخرجت لهم كتباً بمال اليهود أو تعاقدت معهم على أن تخرج لهم كتاباً لا يزال تحت الطبع أو كاتب أجرته ليسوّد صفحات من « الكاتب المصري » ، نتحدّى هؤلاء جميعاً إن كانوا عرباً مسلمين أو نصارى أن ينقلوا أو ينقل واحد منهم هذه العبارة وينشرها ممهورة بامضائه الكريم . أما اذا فعلوا فقد آمنّا بعربيتهم وإسلامهم أو نصرانيتهم ، وإلاّ فان الحجة التي تلزمك تلزمهم أيضاً بالتبعية لك ، وأقل ما في ذلك أن يصح رأينا الذي قلناه وهو أن أهون ما في هذه الشركة من مفاسد ، أن تكم أفواه مئات الكتّاب اذا ما ارتبطوا معها بمصالح مادية ، ومن أطعم فمه ، استحت عينه .

هيا سيدي الدكتور : تشجع قليلاً ، وتذكر قولة عمر بن الخطاب « ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم » .

اسماعيل مظهر

كتاب من :

الدكتور طه حسين عن القضية العربية

كان السيد الاديب خليل شطاره قرأ مقالا في مجلة «الصياد» البيروتية الغراء فيه اتهام للدكتور طه حسين بتشيعه للصهيونية. فبعث بكتاب الى الدكتور جاءه عليه الرد التالي :

تلقيت كتابك وانا اشكره لك اجمل الشكر واحب ان تطمئن الى اني وقد انفقت حياتى كلها في خدمة الادب العربي لا يمكن ان انحرف عن حب العرب وخدمتهم في حياتهم القديمة .

فاما الشائعات التي حدثتني عنها فان مصدرها المنافسة التجارية من جهة والضغينة السياسية من جهة اخرى والحسد البغيض من جهة ثالثة والشر لا يثمر الا شرا .

وخلاصة هذه القضية ان سبعة من اليهود المصريين قد اشتركوا في عمل تجاري صرف قوامه نشر الادب العربى قديمه وحديثه ونقل الجيد من الآداب الغربية الى لغة الضاد وطلبوا الي ان اكون مشيرهم في ذلك فقبلت بعد ان استقصيت واحسنت الاستقصاء وتبينت ان الامر لا يتصل ولا يمكن ان يتصل بالصهيونية من قريب او بعيد .

ونحن نصدر مجلة « الكاتب المصري » وهي مجلة مصرية عربية ظهر العدد الاول من اعدادها وانى اتحدى من شاء ان يجد في هذا العدد وفي الاعداد التي ستليه اشارة للصهيونية او تاييداً لها .

ومن يدري لعل خصوم هذه المجلة يبهتون في يوم من الايام حين يرون فيها خصومة عنيفة للصهيونية وهجوما عنيفا على ظلمها ودفاعا عن العرب في وطنهم فلسطين .

وما اكتب اليك هذا دفاعا عن نفسي ولا عن المجلة فما شعرت قط بالحاجة للدفاع في هذا الموضوع وانما أثر في نفسي كتابك الكريم فأحببت ان يطمئن قلبك وان تثق باني لن اخلف ظنك ولا ظن أحد من العرب انما مثلي ومثل الذين يشيعون عني ومن المجلة كلمة السوء ما قال الشاعر العربي القديم

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من إعراضنا ما استحلت

طه حسين

١٥ اكتوبر

الكنوز النفيسة

في القمامات الخسيسة

كثيراً ما تكون المصادفات وحدها سبباً لتكشف كنز ثمين أو إظهار شيء دفين . وقد جاءت الأنباء حديثاً بأن المنقبين في مدينة رومية قد عثروا على تمثالين رومانيين أثريين في حالة جيدة ، وذلك حينما كانوا يحفرون نفقاً تحت أرضها .

ومما يجدر ذكره في هذا الشأن أنه في سنة ١٩٤٠ اكتشفت في أراضي ليبيا خرائب معبد ، زعم علماء الآثار التاريخية أنه هيكل كليوبطرة . وهو معبد قائم في فجوة عميقة أحدثتها قنابل الطائرات القاذفة للقنابل عند ما كانت تنهال على ذلك الميدان .

وبعد ذلك بعامين كان الجنود الأميركيون يحفرون الأرض في ضاحية مدينة بايستم Paestum بايطالية ، وذلك لاستخراج الحصى منها لحصب الطرق ، فعثروا على ضريح من العصر الحجري ، غاص بآثار من ذلك العهد ، رجح العلماء أنها أقدم التحف التي كشفت من نوعها حتى الآن .

وفي شتاء سنة ١٨٩٩ كان الدكتور جورج ريزنر العالم الأثري المشهور ، يدير مجموعة من أعمال التنقيب عن الآثار التاريخية في بلدة تبتونس (تطون) Tebtunis بمصر ، وكانت أعماله تسير سيراً وئيداً . وكانت تسود خيامه التي ضربت في الصحراء مظاهر اليأس ، حيث كان عمال التنقيب ، كلما توغلوا في الحفر ، نبشوا تماسيح محنطة لا غير . وكان قليل منها لا أهمية له ، وسائرها لا نفع منه يرتجى . وكانت الشروط المعقودة بين الدكتور ريزنر وعماله العرب ، تقضي بأن لا يدفع لهم أجراً إلاّ عن الشيء الثمين الذي يستخرجونه من جوف الأرض . ولذلك صدف أخيراً عن مكافأتهم على هاتيك التماسيح العقيمة الملفوفة بلفائف التحنيط . ومن حسن حظ أحد الأعراب أنه كان ذات يوم يحفر حفرة أثرية وهو محتدم غيظاً فأخرج لقيته وحطمها على سطح الأرض ، فتناثرت أعضاؤها شذر مذر ، كما كان العامل يتوقع . ولكنه لم يلبث أن انقلب امتعاضه ، ابتهاجاً إذ تبين أن الشظايا التي تطايرت من جوف التمساح ، كانت أوراقاً بردية قديمة مصورة صوراً رائعة ، هي التي كان ينشدها

مخدومه ، على أن يكافىء نابشها أسخى مكافأة . وعند ذلك شرع الدكتور ريزنر في تحطيم جميع هاتيك التماسيح المحتقرة التي كان قد أمر بنبذها قصياً ، تحطيماً تاماً ، إذ تذكر من فوره أن ورق البردي الذي كان القدماء يلقونه في زوايا النسيان كانوا يستعملونه للف الأشياء والطبقات الداخلية لتلك الحيوانات المحنطة جميعها ، فصارت المستندات التي أتيح استردادها بتلك الوسيلة ، ضمن المجموعة النفيسة التي تحتفظ بها حالياً جامعة كليفورنيا

ثم إن أغلب نماذج الأواني الزنكية الأولية البريطانية الموجودة الآن في المجموعة الأثرية المشهورة عثر عليها مكتشفوها إما في الآبار ، واما في مجاري القاذورات وإما في الخزائن القديمة المغلقة وإما في وسط طبقات المساكن العتيقة . وبيان ذلك أن الشركة القديمة لصناع الزنك كانت حظرت على أعضائها ترميم أي وعاء مكسور من هاتيك الأوعية الزنكية . وكان يحدوها على ذلك مراعاة مصلحتها ، إذ رأت أنه خير لصناعتهم انتاج الأواني الجديدة وبيعها ، من ترميم السابق استعمالها ، فعجز أرباب الصحون والكيزان والشمعدانات الزنكية عن إيجاد الصناع الماهرين الذين يستطيعون إصلاحها ، فألقوها في أماكن خفية وزوايا مهجورة ، وهي تلك المواضع والزوايا التي ما فتئت تستخرج منها بين حين وآخر . وكثيراً ما تكون العوامل الباعثة على فقد الكنز أو اخفائه ، خطيرة الشأن ، مثل الظروف التي تلازم الكشف عنه .

وقد تختفي مأساة قديمة من المآسي التي كاد الناس ينسون تاريخها . وذلك مثل مجموعة أورفيتو الخاصة بالأواني الصينية الجميلة التي أُلقيت في بئر بناءً على أمر قسيس محلي أراد بذلك تطبيق القواعد الصحية ، قصد منع انتشار وباء الطاعون ، وذلك بارغام الجمهور على نبذ أطباقهم الجميلة . فحدث بعد انقضاء قرون من الزمان ، أن حلَّ ساكن جديد في ذلك البلد الواقع على التلّ الايطالي القديم ، فأخذ ينظف بئر الدار السابقة الذكر ، فعثر على حطام الأواني الصينية البديعة المشار اليها ، فبذل قصارى جهده في اعادة تركيبها وترميمها حتى عادت كأصلها ، ولما نجح في عمله ، جعلت عائلته تقلد صناعتها فراجت بضاعتها رواجاً عظيماً ، إذ هي تحمل طابعاً غريباً هو رسوم العصور الوسطى التي تؤلف من أرضية بيضاء يغشاها لون أخضر زمردي أو أصفر برتقالي . وفي إثيوبيا كانت مجموعة كتب قبطية خطية

كاملة في دير من ديورتها ملقاة في جب وقايةً للكتب من نهب الأعراب إياها عندما غزوا بلاد الحبشة . ثم تمكن أحد الشيوخ فيما بعد ، من استعادتها فابتاعها منه المستر ج . ب . مورجن (١) وذلك بمبلغ ٤٠٠٠٠٠ دولار . وفي أواخر القرن التاسع عشر دمّرت النيران قصر تلينجين القديم في هولندة ثم بيع ما بقي من أثاثه الذي تسنى انقاذه من الحريق ، بالمزاد العلني . فتقدم لشرائه خمسة عشر تاجراً تواطأوا بعضهم مع بعض على ابتياع تلك التحف بأبخس الأثمان ثم بيعها فيما بعد بأبهظ الأسعار ليقتسموا الربح فيما بينهم . وحدث في أثناء انهماكهم في التصرف في هذه الغنيمة أن جاء صبي من أبناء أحدهم ، وجعل يعبث بعلبة رثة من علب الجواهر والحلي ، كانت مطروحة على الأرض نسياً منسيّا فلمس بغتة نابضاً (زنبركاً) خفيّا كان مثبتاً فيها . فسمع حينئذٍ طقطقة أعقبها بروز درج خفي فدسّ الغلام يده في محتوياته الوضاءة الألوان وأخذ يلعب بالحشوة اللامعة التي تكشفت له ، غير انه لم يلبث أن اتجهت اليه أنظار أصحاب الشأن وذلك حينما ثار وأفشى سر ذلك الكنز . فأخذ يبادلهم التهانيء فأقصوه توّا عن موقفه حيث وجدوا في ذلك الدرج مجموعة من الماس والياقوت ، وكانت جميعها من الأحجار الكريمة المشهورة والحلى النفيسة التي كانت مفقودة منذ عهد طويل في قصر تلينجين الذي كانت جاكلين أف باتافيا كونتيسة هولندا وزيلند ، سجينة فيه حتى توفيت سنة ١٤٣٧ وكانت قد نجحت في اخفاء جواهرها تلك عن أبصار ظالميها منذ زمن طويل . ونجم عن تلك اللقية ثراء أولئك التجار وبلوغهم منزلة مالية لم تعلن للملأ قط ، فقيل إنها أربت على نصف مليون من الدولارات . وكان رجل من المكسيك الجديدة ينبث (٢) بئراً فعثر على دلو ملأى بالنقد والحلى الاسبانية القديمة بلغت قيمتها وزناً تسعة آلاف دولار ، فقيل إنها من المجموعة الثمينة المشهورة التي جمعها ج . س . كاندلاريو التاجر الهندي الذي كان مستوطناً ذلك المكان . ولكنهم لم يكشفوا سبب اخفائها في تلك البئر . وكذلك عثر بعض فعلة باريس على كنز من عهد لويس الخامس عشر في غضون هدم مبنى قديم في شارع موفيتار .

عوض جندي

---

(١) هو جون بيربونت مورجن ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي سنة ١٩١٣ مالي أميركي مشهور وجامع التحف المعروف

(٢) نبث البئر — نبشها وأخرج ترابها

تخريج كتاب الملل والنحل

للشهرستاني (١)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . باسمك اللهمَّ : أستلهم الصواب ، واستهدي الرشد ، وأتقي مواطن الزلل .

هل هناك فلسفة إسلامية ؟ وهل هناك ثقافة عربية ؟ وهل هناك تفكير شرقي ؟ وإن كان ، فما قيمة هاتيك الفلسفة ؟ وما طابع تلكم الثقافة ؟ وما ينابيع هذا التفكير ؟ وحتى إن لم يكن ، فَلِمَ ؟ وكيف عاش الشرق — أو الشرق الإسلامي — طوال هذه المدة ؟ وكيف وصلت إلينا معارف السابقين — من يونان وغيرهم — وليس بيننا وبينهم إلاّ غرب صادر ، أو شرق قادر ؟؟

هذه أسئلة ضلَّ في الإجابة عنها كثير من المتفلسفين ، من مستهل القرن التاسع عشر إلى اليوم ، بل وهاتيك قضايا لم تجد بعدُ القاضيَ العدل المنصف ، على رغم كثرة القضاة الذين تعرَّضوا لإصدار أحكامهم فيها بمختلف اللغات ، وفي شتى الجهات . . .

وعندي أن الجواب عن كل سؤال من هذه الأسئلة . أو الحكم في كل قضية من هاتيك القضايا — يحتاج إلى : مستندات صريحة واضحة ، ودراسات مستفيضة مفصَّلة ، ومدافعين أقوياء وقضاة عدول ، أعني يحتاج إلى تخريج تراث السابقين الفكري تخريجاً علميًّا .

وفي يقيني أن من الواجب لعدالة مثل هذا الحكم أن تُقدَّم مستندات القضية بأيدي أصحابها وألسنتهم ، أو بأيدي محاميهم والمدافعين عنهم ، أو — على الأقل — بأيدي أصدقائهم ، ليستطيعوا الدفاع عن وجهة نظرهم ، وإبراز مكنون ضمائرهم ونيَّاتهم ، وشرح

---

(١) هذا هو عنوان الرسالة التي ناقشتها اللجنة الخماسية المؤلفة لذلك بدار كلية أصول الدين برئاسة سعادة الدكتور منصور باشا فهمي ، والتي حصلت بها على شهادة العالمية من درجة أستاذ بدرجة ممتاز في التوحيد والفلسفة من الجامعة الأزهرية بتاريخ ٢٤ من جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٦ م

ظروفهم ومقاصدهم ، فيجيء الحكم أقرب إلى العدالة ، وأجدر بالقبول . كما أن العدالة تقتضينا أن نرفض أي حكم في قضية مّا أغفلت مستنداتها ، أو قُدِّمت هاتيك المستندات بيد الخصوم أو الثائرين ، أو الأعداء

وكم كان جميلاً من « ألْفَرِد جيُّوم » — المستشرق الانجليزي المعاصر أن يقول : « ولم يحن – بعدُ – الوقت الذي نتمكن فيه من أن نكتب تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وحتى إذا قُدّر لنا أن ننشر ما يتصل بها من بحوث مودعة في المخطوطات ، ومنبثّة في مختلف المكاتب في أوربا والعالم الإسلامي ، وقُدّر للعلماء أن يتداولوا هذه المطبوعات — فإن علينا أن ننتظر حتى تهيء الأبحاثُ الخاصّةُ والدراساتُ المسهبةُ السبيلَ إلى الاحاطة بالفلسفة الإسلامية ، احاطة تتناول مداها الواسع » (تراث الإسلام ص ٣٧٢ طبع لجنة التأليف)

أفلا يجب علينا أن نعمل بكل عزم وحزم وقوة وسرعة على تخريج كنوز السابقين تخريجاً علمياً ، ثم نتدارسها دراسة مستفيضة مستقصية ، فنهيء بذلك أنفسنا للحكم ، ونجلو الأساس السابق – لنهضاتنا العلمية – لنقيم عليه البناء اللاحق ، ونكمل معلوماتنا ؟؟

وكم نحن مدينون بالشكر لجهابذة المستشرقين الذين أماطوا اللثام عن كنوز تراثنا الاسلامي ، وألقوا أضواءً مختلفة على كثير من ثقافات الشرق العربي وعلومه ، وأفنوا الكثير من وقتهم وشبابهم وحياتهم . . . باحثين منقبين ، باتّين الآراء ، مصدرين الأحكام ، بقدر ما تسمح لهم ثقافتهم العربية ، وإخلاصهم للشرق والشرقيين .

وبحسبنا — الآن — أن نستمع الى بعض أعلامهم يحدثنا عن موقفهم من العربية : يقول « نللينو » : « فاعتبروا أننا المستشرقين الباحثين في أوربا عن لغات أهل الشرق واعتقاداتهم وعوائدهم وآدابهم وتاريخهم وجغرافيا بلادهم ... وهلمَّ جرًّا ...ما تعلمنا تلك اللغات الاّ بمطالعة الكتب ... فبالجملة : صار مثلنا كمثل الصم والبكم ، وأصبحنا في كنوز العربية مترددين ، وفي بحورها متحيرين ، مع صرف همتنا اليها ، ومثابرتنا عليها » (علم الفلك ص ٣ طبع روما) .

ومع هذا فانا عاجزون حقًّا عن شكر هؤلاء المستشرقين الاعلام ، الذين أيقظونا من سباتنا ، ودفعونا الى المحافظة على تراث آبائنا وأجدادنا . نقبوا في ديارنا ، فنفضوا الكرى عن عيوننا . نعم نعلن عجزنا من شكر هؤلاء القوم ، حتى نرد اليهم جميلهم ، ولا أقصد أن

نكون مستغربين كما أن فيهم مستشرقين ، بل أريد أن نكون شرقيين ، نعني أولاً بتصفية تراث الشرق وتقديمه : صافياً لمن أراد ، شهيًّا لمن استطعم ، عذباً لمن استشرق ، فنصحح بذلك أحكام الماضي الجائر ، ويصحح المستشرقون معنا ـ مشكورين — أحكامهم الماضية . ومن يُدري ، فلعلَّ قبساً من هذا التراث يهدي الانسانية ، ويردها الى مقررات الوحي ، والعقل والضمير .

ولكن ما السبيل الى ذلك ؟ السبيل الى ذلك واضحة جلية ، ينحصر — الآن — في تخريج مؤلفات السابقين بنقدها داخليًّا وخارجيًّا . ونعني بالنقد الداخلي : تحرير الآراء ، وتجريدها مما علق بها من محار النساخ وأصداف المتعالمين ، ويدخل في ذلك دراسة أهواء المؤلف ، وميوله وشخصه . . . ويجب لهذا أن يجرد الباحث نفسه من شخصه وعصره ، ويلقي بنفسه في أعماق من يريد أن يخرج له أو يكتب عنه ، ويتغلغل معه في ثنيات عصره ومصره . . حتى ينطق بلسانه ، ويكتب بقلمه ، ويخطو بقدمه .

ونعني بالنقد الخارجي : الحكم على هذه الآراء من خارج المؤلف ـ بعد تحريرها ـ ويجب لهذا أن يجرد الباحث نفسه من ميوله وأهوائه ومعتقداته . . . حتى يكون عدلاً في حكمه ، موفقاً في تقديره . . .

لكل ما سبق ـ ولأكثر مما سبق ـ انصرفت همتي الى تخريج كنوز السابقين ، وتقديم المستندات العلمية بين يَديْ أحكامنا ، على رغم العقبات التي تعترض هاتيك السبيل ، والصعاب التي قد تستصعب إذا فترت الهمة ، تلك الصعاب والعقاب التي يجمع أعلام المستشرقين والشرقيين ـ من الذين تحملوا مشاق التخريج العلمي ـ على انه لا يمكن تقديرها الاّ ممن استهدفوا لها ، ووهبوا أنفسهم ونفيسهم لخدمة الانسانية جنود مجهولين .

فانتدبت نفسي لفتح باب هذا العمل ـ الجليل في قوته ، اللذيذ في صعوبته ـ أمام الشباب المصري ، الناهض الفتي ، ذي المضاء العازم ، والعزم الماضي ، والأمل الدافع . وكم أود أن يتقدم طالبو الاجازات العلمية من هذا الشباب بهذا العمل ، الذي انفرد به حيناً من الدهر كبار المستشرقين . حتى وفق الله كبار أساتذتنا الشرقيين لاقتحام ميدانه ، فأسدوا إلى الانسانية عامة ، والى المكتبة العلمية خاصة ـ خير ما يسدي عالم انتفع بعلمه ، ونفع الله به .

وأخذت أفكر فيما عساه أن يكون باكورة إنتاجي ، لأتقدم به لنيل درجة الأستاذية من الجامعة الأزهرية في التوحيد والفلسفة ، وأكون بذلك أول من قدّم رسالة من هذا الطراز ، لنيل درجة علمية في مصر . . . فأشار عليّ — في توجيهه الحكيم ولفتة الكريم — الدكتور محمد البهي ، بتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني . والشهرستاني حبيب الى نفسي من ابتداء التعليم العالي — من ثلاثة عشر عاماً — أو يزيد ، إذ هو المنهل العذب لمقالات أهل العالم الى يومه ، بيد أنه واسع الآفاق ، رحب الجنبات . وكم ألحّ عليّ كبار الأساتذة . ألاّ أخاطر بتخريج الكتاب كله ، مكتفين بتخريج جزء منه ، والوعد بتخريج الباقي ، ولكن . . . ولكن طبيعة العمل ، وما استطعت الحصول عليه من المراجع والأصول ، وما وقر في نفسى من أن أفتح باب التخريج العلمي على مصاريعه . . . كل هذا ، وأكثر من هذا ألحّ عليّ أن أنجز الكتاب مرة ، فآثرت أن أخرّجه كله .

وأظن أنه يكفي لإيثار تخريج كتاب « الملل والنحل للشهرستاني » أن يشعر الإنسان أنه من صاحبه أمام عالَم في عالِم ، وأنه منه أمام كونٍ في كتاب ، وأن يعلم أن هذا الكتاب طوّف بالعالم أو كاد . وما ظنّك بكتابٍ رحبت به معظم الجهات ، وتلقفته شتى اللغات ، فظهرت له كثير من الترجمات ، فضلاً عن مختلف الطبعات ؟ . ثم ما ظنك بكتاب أثنى عليه أقطاب علماء المشرق والمغرب ـ في القديم والمتوسط والحديث ـ بخير ما يُثنى به على كتاب ؟ فيقول التاج السبكي عنه : « هو عندى خير كتاب صنّف في هذا الباب » ، ويقول « أَلْفَرِد جيُّوم » فيه : « لا يمكن الاستغناء عنه في أي زمان ».

فإن حقّ لسائل أن يقول : لقد نشر « كيورتن » الانجليزي هذا الكتاب ، وطبع في لندن سنة ١٨٤٢ وسنة ١٨٤٦ م ثم ليبزج سنة ١٩٢٣ باللغة العربية ، كما طبع مراراً في مصر مجرداً وعلى هامش الفصل لابن حزم ... ففيمَ إذاً جهدك ؟ ولم تتعب نفسك ؟ وعلام تخرّج كتاباً قد خُرّج ؟؟ . . . إن حقّ لسائل أن يقول هذا ، وجب عليّ أن أقول له : إن « كيورتن » ـ على رغم إجلالي وإكباري لمجهوده الجبار ـ لم يتعمق فهم نصوص الكتاب ، بل ولم يختبره كله ، كما أنه لم يفقه كثيراً من فقه لغته ، ولم يروّض نفسه على اكتناه أسلوبه ، ولم يتبع حتى أصول التخريج العلمي التي رسمها لنفسه في نفس الكتاب ،

وفوق هذا ، فقد فرض رأيه على كل قارىء — وقارئة طبعاً — ، إذ لم يثبت قراآته المختلفة للنسخ التي اعتمد عليها ، مع أنه مستشرق يسير في العربية بذوقه الخاص ، وفي دائرته الخاصة ، بل لقد احتفظ بملاحظاته ، وتعليقاته ، والقراءات المختلفة ، والفروض الخاطئة ، وثبت الأخطاء الكتابية والمطبعية . . . إلى مقدمة الترجمة الأنجليزية — للكتاب كما يقول — تلك الترجمة لم يظهر شيء منها حتى الآن ، وقد مضى عليه أكثر من قرن من الزمان . بل وهذا « كيورتن » نفسه ، يسجل بيده قصوره وتقصيره ، فيصرح بأنه لم يتأمل كل جملة بأقصى انتباه ، ولم يختبر المؤلف كله ، ولم يحقق مخطوطتي « اكسفورد » مع وجود المساعدين المستعدين لكل ما يطلب . وكأن شعوره بتقصيره وخطئه ، وإحساسه بأن القراء قد أمسكوا بخناقه — جعلاه يرتبك في اعتذاره ، ويعتذر في ارتباكه ، فيرتعش القلم في يده ويضطرب . ويسطر كلمات مرتعشة مضطربة ، حيث يعد بترجمة الكتاب إلى اللغة الأنجليزية ويرى أن هذا عبء كبير ، ثم يقول : « وهذا العبء سوف يلقي عليّ ضرورة التأمل في كل جملة بأقصى انتباه ، والعودة إلى اختبار المؤلف كله ، وعندي أمل في تحقيق المخطوطتين جميعاً الموجودتين في « اكسفورد » ، اللتان — الى الآن — لم أبحث منهما إلا صفحات مليئة بالصعوبة والغموض ، بمساعدة الأستاذ « أربي » الذي هو على أتم الاستعداد لإجراء كل التحقيقات التي أطلبها منه » . . . وعلى هذا فلا يصح الاعتماد على طبعة « كيورتن » ولا الوثوق بها .

وأما طبعات مصر للكتاب — سواء المجردة منها أو التي على هامش ابن حزم — فيؤسفنا أن نقرر أنها — ككل الطبعات القديمة — ليس فيها غناء علمي الآن لأنها لم تعن بالنصوص عناية كافية ، وحتى ما عني منها بالنص فمن مخطوطة واحدة وتصحيح عاجل عابر ، ولأنها خالية من علامات الترقيم التي تعتبر إرشادات هادية في القراءة الحديثة ، ولأنها خالية — أيضاً — من التقسيم والتبويب والتفصيل ، مما يجعل القارىء تائهاً في بيدائها ، ولأنها — مع كل هذا — خالية من الفهارس التي تصل القارىء بسرعة ويسر إلى غايته من الكتاب ، فتوفر عليه وقته وجهده . . . ولأنها . . . ولأنها . . .

وفوق هذا ، فإنا وجدنا كل طبعات الكتاب السابقة وترجماته ، بل وحتى مخطوطاته

يعمها الاضطراب ، ويكثر فيها التشويه ، ويشيع فيها النقص . . .

وبحسبنا أن نعلم أن كل الطبعات ، وكل الترجمات ، وجل المخطوطات لهذا الكتاب ، قد سقط منها « نقل (الجيهاني) عن زرادشت في المبادىء » وهو موضوع خطير وجديد لم نعثر عليه بعدُ في مصدر آخر ، وقد شغل هذا السقط إحدى عشرة صفحة كاملة .

وأن نعلم كذلك أن كل الطبعات ، وكل الترجمات ، والغالبية الغالبة من المخطوطات ، لم تستطع الوصول إلى المقدمة التي قدّم بها الشهرستاني كتابه للوزير نصير الدين ، تلك المقدمة الجليلة التي تنفرد بمباحث قيّمة : منها التَّصدّي إلى تحديد زمن تأليف الكتاب وإثبات مذهب الشهرستاني الاعتقادي ، والنص على اسم الكتاب ، وسبب هذه التسمية . . . وهذه حقائق قيمة وضرورية، ما كان لباحث كائن من كان أن يقطع بها . بل وَلَمّا استطعنا نحن ذلك لولا هاتيك المقدمة التي تفردنا بتخريجها ، بعد أن فتشنا ما وسعنا التفتيش ، وشققنا خضَامّ المظان العلمية ، وقلبنا صحائف المكتبات العامة والخاصّة . . . حتى خلصت لدينا أصول كثيرة للكتاب : ترجمات ، وطبعات ومخطوطات .

ولما كان الإنسان لا يمكن أن يتخصص في كل نواحي العلم ، ولا يستطيع أن يحيط بشتى اللغات . . .

ولما كان لا بدَّ من الالتجاء إلى المتخصصين والاستعانة بهم ، خصوصاً في النواحي العلمية المترامية ، ليجيء الإنتاج العلمي أقرب ما يكون إلى الكمال ، فيصح الاعتماد عليه .

ولما كانت الاستعانة بهؤلاء المتخصصين لا تقف عند حدّ ما كتبوا ، بل الأولى — حتى وإن دَوّنوا — الاتصالُ بهم في آخر لحظة ـ كلما أمكن ـ ليكون الاعتماد على رأيهم الأخير . . .

لما كان كل هذا ، فقد حرصت ، جهد طاقتي ، على أن أتصل بالأعلام المتخصصين مباشرة وأتلقى عنهم شِفاهاً ـ ألفاظاً أو تحريراً خاصًا ما وسعني ذلك ، فان لم أستطع التجأت إلى ما دوّنوا سابقاً وعوّلت على ما كتبوا من قبل ، في القديم ، والمتوسط ، والحديث .

ولذا جاءت مصادرنا على قسمين : قسم سميناه بالمصادر الناطقة ، وقسم سميناه بالمصادر المكتوبة . ونعني بالمصادر الناطقة : العلماء العالميون، الذين أمدّونا بأفكارهم، وتوجيهاتهم

وإرشاداتهم ، وعاونونا : بمجهوداتهم ، وأقلامهم وأوقاتهم . . . كل في دائرة اختصاصه ، وقد بلغ عدّ هؤلاء الجهابذة عشرين عَلَماً من مختلف الملل والنحل والأصقاع ، فهل يفيهم شكري ؟

وهكذا جُلْنا في الكتاب جولات وجولات ، مع كبار المتخصصين تارةً ، ومستعينين بالله تارات وتارات ، بعد أن ارتمينا في أحضان صاحبه وصاحبنا أربع سنوات كاملة – بل يزيد – ليلاً ونهاراً ، غير حاسبين للزمن والنصب حساباً ، وتغلغلنا معه في ثنيّات عصره ومصره : نتسمَّع إلى خلجات نفسه ، ونتحسس مدركات حسه ، ونساير وثبات حدسه ، ونُطوِّف ما نُطوِّف معه ، ونتصل معه بالحكام والسلاطين ، ونعقد معه المجالس الوعظية والعلمية ، ونتصفح معه مآت الكتب والمراجع . ثم نقف عند كل كلمة من كلمات كتابه ، نستشيره فيشير علينا ، ونستوضحه فيوضح لنا . والحق أنا كنا طوال هذه المدة صاحبين مخلصين : أسر لي وفهمت عنه

ثم أخذنا نتصفح كتابه وندرسه ، مبتكرين فهارسه ، منفردين بتقسيمه وتجزيئه وتبويبه وتفصيله مغربلين منظفين ، مطبقين كل ما رسمناه من قواعد « التخريج العلمي » . حتى خرجناه نقي الإهاب ، حسن الجلباب ، « يؤتي أكله كل حين باذن ربه » . بعد أن بينا أن أول ما يلفت النظر في أمر « التخريج العلمي » اضطراب أمره لدى القائمين به ، وارتعاش حبله في يد القابضين عليه : فبينا نرى المبالغ في الافراط ، إذ نرى المبالغ في التفريط ، وبين هذا وذاك نرى أفواجاً سلكوا طرائق قدداً . وقد عرضنا عشرين نموذجاً من نماذج التخريج العلمي لكبار المستشرقين والشرقيين ، وتعرضنا لمن أمسكوا بعنان هذا الموضوع في العربية نظريًّا . ثم قررنا قواعد جديدة للتخريج العلمي نظريًّا وعمليًّا ، نرجو أن تكون دستوراً للمشتغلين به ، ونبراساً للمتصدين له ، خصوصاً وقد اجتازت تلكم القواعد ميادين الامتحان ، وفازت – من يد كبار المتخصصين – بالامتياز .

ونحن في كل هذا ندوّن مجمل ما سمعنا ، وما شاهدنا ، وما لمسنا ، وما لاحظنا ، وما درسنا وما استنتجنا ، حول كتاب الملل والنحل هذا ، قبل تخريجه ، وحال تخريجه ، وبعد تخريجه . فجاء عملنا على أربعة أنواع ، في أربعة مجلدات :

نوع اجتمع تحت عنوان « تمهيد لتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني » ، ونوع ثانٍ اجتمع تحت عنوان « الشهرستاني وكتابه الملل والنحل » . وقد ضمَّ هذين النوعين مجلد واحد تحت عنوان « المدخل الى كتاب الملل والنحل » ، وقد اشتمل على ٢٤٥ صفحة من القطع الكبير .

والنوع الثالث نص الكتاب بمفارقاته وعناوينه ، مقسماً مفصلاً . . . وقد تفرق في المجلدين الثاني والثالث ، اللذين شغلا ٨٦٦ صفحة .

والنوع الرابع الفهارس الخمس التي ابتكرناها للكتاب ، مع فهرس مخطوط . وفهرس الترجمة الألمانية ، وقد احتوى ذلك كله المجلد الرابع في ١٨٤ صفحة .

وبذا يكون هذا العمل الجليل قد تمَّ بحمد الله في ١٢٩٥ صفحة من القطع الكبير .

* * *

وبحسبنا الآن أن نمرّ سريعاً على كل نوع من أنواع هذا العمل ، موجزين ما وسعنا الإيجاز :

١ — المدخل الى كتاب الملل والنحل : ولعل تحديد الصفحات ، ووقت القارىء ، والحرص على تقديم عمل استغرق حوالي ١٣٠٠ صفحة تقديماً دقيقاً . . . يضطرنا إلى أن ننشر أمام القارىء الآن الفهرس لذلك المدخل ، فتنكشف بذلك الموضوعات التي عالجناها به ، وهاك نصه :

فهرس المدخل

القسم الأول : « التمهيد لتخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني » .

١ — واجباتنا

(١) الفلسفة الإسلامية : (ا) هل هناك فلسفة إسلامية ؟ (ب) وكيف نحكم عليها ؟ (جـ) ومتى يكون الحكم عليها صحيحاً ؟ (د) الواجب علينا .

(٢) المستشرقون والتراث العربي : (ا) شكر وتقرير . (ب) المستشرقون واللغة العربية (جـ) المستشرقون والفلسفة الإسلامية . (د) كيف نرد إليهم جميلهم . (هـ) الكنوز العربية وتأثيرها الخالد . (و) الواجب علينا .

(٣) السبيل إلى أداء هذه الواجبات : (ا) تخريج مؤلفات السابقين تخريجاً علمياً . (ب) النقد الداخلي والواجب له . (ج) النقد الخارجي والواجب له .

(٤) فتح باب التخريج العلمي على مصاريعه : (ا) صعاب التخريج العلمي ومعقاته (ب) واجب الشباب وطالبي الاجازات العلمية . (ج) التخريج العلمي وكبار المستشرقين والشرقيين . (د) باكورة انتاجي. (ه) توجيه وإلحاح . (و) الواجب لطبيعتي العمل والأمل.

(٥) كتاب الملل والنحل للشهرستاني : (ا) ترجمات الكتاب إلى مختلف اللغات . (ب) طبعاته في مختلف الممالك والبلاد . (ج) الثناء عليه من علماء المشرق والمغرب . (د) الواجب علينا .

(٦) ليس في طبعات الكتاب السابقة غناء علمي : (ا) طبعات أوربا . (ب) طبعات مصر . (ج) واجبنا .

محمد بن فتح الله بدران

حضرة الاستاذ رئيس تحرير مجلة المقتطف الغراء

تحياتي لكم وبعد : فلقد اطلعت في عددكم الاخير من المقتطف على مقال « للاستاذ نقولا الحداد » تحت « آخر كلمة » وهي تختص بالرد على بعض النقاد في موضوع الذرة . وكان مما لفت نظري ما جاء في آخر المقال اذ يرد الاستاذ نقولا على الاستاذ جيمان بأن الكالوري هو كمية الحرارة اللازمة لرفع جرام من الماء درجة ١° م (وأحياناً لرفع كيلو جرام) وذلك حسب القاموس والاستاذ جيمان يعتقد أن الكالوري هو كمية الحرارة اللازمة لرفع كيلو جرام ماء .

وإني أجد أن كلا الاستاذين المحترمين قد وقعا في لبس يقع فيه كثير وقد آثرت أن أرسل هذه الفقرة لتصحيح هذا اللبس العلمي . وأرجو نشرها حتى يطلع عليها كل من أراد وهي :

« الكالوري الصغير Calorie ويكتب بحرف c صغير small : هو كمية الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة جرام واحد من الماء من ١٥° م الى ١٦° م وأما الكالوري الكبير ويكتب بحرف كبير Calorie - C capital letter يساوي ١٠٠٠ كالوري صغير أي ما يلزم لرفع درجة حرارة كيلو جرام واحد من الماء من ١٥° م الى ١٦° م » .

وختاماً تقبلوا احتراماتي لشخصكم العظيم .

عباس مهدى

نهائي طب — القصر العيني

الى النيل

حنانك يا قِبلَةَ الشاعرِ   ويا رمز مجدٍ لنا غابرِ
إلى أين تبغي ؟ ومن أين جئت   وحتامَ تنساب كالحائر !
أليس لسعيك من غايةٍ   أما لمسيرك من آخر
رويدك ! ما الكدّ سرّ الوصولِ   وما العيش وقفٌ على الساهر
فلو كان في السعي نيل الخلود   لما مات ذو قدمٍ سائر
علوت الجبال ، قطعت القفار   وجبت ربى العالم الدائر
فماذا جنيت سوى وحشةٍ   تلوح على موجك العاكر !؟!

* * *

تمر على بلقعٍ موحشٍ   قِفار من الشجر الناضر
وتنساب بين رياضٍ حسان   تَزَيَّنُ بالسندس الزاهر
وحيناً تفيض على الظامئين   بخير كثير الغنى وافر
وحيناً تغيض فلا نهتدي   الى النذر من مائك الغائر
فهل ضايقتك شئون الحياة   فضقت بتدبيرها الخاسر !
حياة تذل الأبيّ الكريم   وتسعد كل فتى فاجر
تبيعك إن أنت ناصرتها   ولكن إذا بعتها تشتري
وتضحك كالطير بين الرياض   وتخدع كالثعلب الماكر !
وتبسم كالزهر عند الشروق   وتلدغ كالعقرب الناشِر
وتشرق حيناً كنور الضحى   وحيناً .. كليل الدجى العاكر
وليس بها غير طيف سراب   قليل الغنا للفنا صائِر

* * *

أيضنيك هذا الرحيل الطويل   وضربك في القفر والعامرِ
تعالَ فإني بلوت الحياة   وقاسيت من حكمها الجائر
رماني الزمان ولكن خضعت   لحكم من القدر القاهر
فما غلب الدهر كالمستكين   ولا قهر الكون كالصابر.
وهيا نسرْ في فيافي الحياة   ونسبحُ في بحرها الزاخر
فيقذفنا الدهر حيث يشاء   وما من معين ولا ناصر

كلية العلوم
بالعباسية

عفيفى محمود عفيفى

صحافتنا تنحدر

بالأمس خرج الاستاذ فؤاد صرّوف من ميدان العمل العلمي ، ميدان الحق والحقيقة ، وطلق ميدان الأدب والفلسفة، الى ميدان آخر ، هو ميدان صحيفة أمريكية تعمل للناحية التجارية ، وتبعه في ذلك محمود شاكر الأديب المعروف مؤلف كتاب المتنبي ، وهو بحث فذ أكبّ عليه صديقنا الأديب فألبسه من أدبه وفكره حلة قشيبة زادت الى ثروة الأدب زيادة تذكر ، ترك هذا الميدان الى الميدان الأمريكي ، ميدان الدببة التي تدخل الفنادق، وتربية الأسماك في البرك والمستنقعات ، وقصص البحر وما أدراك ما البحر ، والطائرات الساقطة والصواريخ المنقضة . فكان خروج ذاك العالم وهذا الأديب من ميدان العمل الجدي إنتكاساً لحركة العلم وحركة الأدب في مصر والشرق .

ورأينا كبار كتّابنا مثل صديقي احمد أمين بك وصديقي الأستاذ عباس محمود العقاد وغيرهما من كبار الكتّاب والمؤلفين ينزلون عن عليائهم وعن السماوات التي تحلّق فيها أفكارهم ، وقد بلغوا سن النضج العقلي ودرجوا الى منازل الحكمة العالية ، بعد صبر طويل وتجربة مع الزمن واحداث الزمن ، ينفقون من وقتهم الثمين العزيز على العلم وعلى الأدب ، ليسطروا ما يوافق مزاج الجمهور في صحف لا تمت الى العلم بسبب ولا تتصل بالأدب ولا ترتبط بالفلسفة أو الدين بأوهى رباط . إذن فالصحافة التجارية تنحدر وتحاول أن تجذب إليها عظماء الكتّاب والمفكرين ، تتخذ من أسمائهم التي بنوها بأعصابهم وعصارات قلوبهم ودمائهم الزكية وأعمارهم الطويلة بإذن الله ، سبيلاً الى كسب ماديّ من طريق إرضاء الجماهير الجاهلة السابحة في ظلمات الشهوات الخسيسة والنزوات القذرة ، والانصراف عما هو خيرٌ الى ما هو شرٌ ، وبئس للظالمين بدلاً .

ورأينا أستاذاً عالماً كبيراً هو صديقنا الأستاذ أحمد زكي بك الكيميائي المعروف يتولى تحرير مجلة الهلال بعد أن انحدرت من علياء المرحوم جورجي زيدان الى مستوى

الصحافة الأمريكية الرخيصة ، صحافة الجماهير وما الى الجماهير ، وقد نرى الى جانب هذا أن صخور العلم والأدب ، تلك الصخور الصلدة التي مثلتها الصحافة الجدية في ما مضى من الزمن ، وقد دعمها أمثال صرّوف وجورجي زيدان وأحمد لطفي السيد والمنفلوطي وعلي يوسف ومصطفى كامل وفريد وفرح أنطون وسركيس وشميل وغيرهم ، وقد أخذت تتحات وتنفصل جزئياتها لتصير رمالاً تذروها الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً .

ظاهرة من الظاهرات التي تقضّ مضاجع الذين يؤملون في الأمم خيراً ، ويودون لو أن جماهير هذه الأمم تخرج من جهالاتها إلى رحاب العلم وميادين الأدب والفلسفة ، لا ان تخرج من جهلها الى ميادين الروح الأمريكية التي غزت أسواق الأدب في مصر . وغزت بقية الشرق من طريق مصر .

أستغفر الله . أقول الروح الأمريكية تخصيصاً لا اطلاقاً . وإذا قلت الروح الأمريكية فاني أعني بها الروح الهفافة المائعة التي تعمل في تلك البلاد إلى جانب الصناعة والفن والأدب العالي والفلسفة الثابتة وإلى جانب الذرة وقنبلة الذرة ، لا الى جانب الجهل المطبق والأدب الرخيص ، فتزيدنا جهلاً ، وتروج لما رخص من الأدب على ما في أدبنا من رخص وتفاهة وتصرفنا إلى الهزل دون الجد، وإلى الحكاية دون الأدب ، والى القشور دون العلم بل الى الهاوية التي تحفرها هذه الصحافة تحت أقدام الأمم العربية جميعاً .

يقول المتجرون بالأدب والعلم والفلسفة : إن الجماهير تطلب ذلك . آمنّا معكم وصدّقنا أن الجماهير تطلب هذه الألوان الرخيصة . ولكن أين نفوسكم وأين ثقافتكم وأين رسالتكم التي تؤدونها لهذا الجيل وللأجيال المقبلة ؟ آمنّا وصدقنا أن الجماهير لا ترتفع لأكثر مما تعطونها من مادة، آمنّا وصدقنا أنّ الجماهير قد تطلب ما هو أرخص مما تعطون في صحفكم، ولكن هل بدا لكم أن الجمهور كائن أصم أبكم أعمى مجنون لا ينفع فيه التعليم ولا تفيد فيه اللقانة ، وأنه كسائمة الحيوان ان لم تجد حشيشاً تأكله ، أكلت الروث والجيف . آمنّا وصدقنا أن الجمهور في حاجة الى التعليم والارشاد، فهل نثقفه بمقال في جدال ملك حول طربوش أو قصص في صور، وغير ذلك مما تغثي له النفس وتروح حسرات على الأدب والعلم وعلى الجمهور الذي لا يجد إلاّ ما تأكل السائمة من الحيوان إذا افتقدت غذاءها الطبيعي فلم تجده ؟

ولعلك تنظر في مجلة كالهلال في عهدها الجديد ، وهي المجلة الثقافية التي أنفق فيها

منشؤها الأول المرحوم أستاذنا جرجي زيدان ما أنفق من جهد وقوة وعنفوان وعلم وأدب وقصص ، فترى مقالاً كتبه طبيب من أطبائنا المعروفين تحت عنوان يضحك الثكلى. أتدري ما هو ؟ أنظر صفحة ١٤٣ من العدد الأول « في الثوب الجديد » الذي شعاره الى الامام ، تجد رَوْشماً كبيراً وبالخط العريض « الجسم السليم في الأنف السليم » أليس هذا بمثابة قولك « الفيل الكبير في الخرطوم الصغير » أو قولك « الحية العظيمة في الناب البئيل » أو قولك « العقرب الكبير في الحمة القميئة » . أرأيت في عمرك الطويل أو القصير مثل هذا الإحتقار لعقول الناس ، أو على حد قول تجار الادب « غش الجمهور » . أرأيت جسماً في أنف أو فيلاً في خرطوم أو حيَّة في ناب أو عقرباً في حمة ؟ أرأيت كبيراً يتضمنه صغير ؟ أرأيت كُلاً يتضمنه جزء ؟ إن لم تكن قد رأيت فانظر في العدد الأخير من الهلال ترَ المعجزة التي لم يدّعها نبي من الأنبياء ولا دعيّ من الأدعياء.

كل هذا ينشر للجمهور ، ومن هو هذا الجمهور ؟ هو جملة المتعلمين في جامعة فؤاد وجامعة فاروق والجامعة الأزهرية والمعاهد الثانوية والمدارس الاخرى مضافاً إليهم قلة لا يعتد بها من الذين لا يحسنون القراءة . هذا هو الجمهور الزاط الأصم الذي يتجر هؤلاء بصحافته العلمية والأدبية ، ويملؤون من ماله جيوبهم ، ثم يرمونه بالغفلة ضاحكين ، وكل هذا ينشر باسم عالم من علمائنا وفذ من أفذاذنا ، ولا حول للأدب ولا العلم ولا للفن الرفيع أمام سلطان المال في زمان طغت فيه المادية على كل شيء حتى على الروح .

لست أدري بأي ضمير يحاول هؤلاء المتجرون بالأدب أن يحملوا الجمهور مسئولية أوزارهم كاملة . يقولون إن الجمهور جاهل منصرف عن الجد إلى اللهو ، متطير من العلم كاره للأدب . كل هذا ليبرّروا أساليبهم الملتوية ويخفوا أغراضهم الكريهة .

تاجروا بالصَّحافة ، واتخذوا الاتجار بها مهنة . ولكن لا تتجروا بالأدب . ولا تتداولوا العلم تداول السلع الرخيصة ، ولا تموهوا على الفلسفة واقصروا عن إغراء الكتَّاب بالمال ليكونوا لتجارتكم سبباً . بل اجعلوا من أموالكم حقًّا معلوماً لهؤلاء الأفذاذ ليعالجوا الى جانب تجارتكم مستغلق العلم وعميق الفلسفة ورفيع الأدب ، عسى أن تضفوا على ما تتعاطون من تجارة شيئاً من الاعتبار ، وتؤدوا لهذه الجماهير التي تتهمونها

بالغفلة والجهل، وترمونها بكل نقيصة، خفية أو ظاهرة، بعض الواجب جزاء ما تصبر على الكيد لها والنيل منها، وافساد عقولها واثارة الشهوات الخسيسة في ميولها.

لقد انحدرت صحافتنا حتى كادت تكون حضيضاً. ولا مخرج لنا من هذا إلاَّ بأن تحتقر هذه التجارة وتنبذ ويترفع عن المساهمة فيها كبار كتابنا وعلمائنا، إلاَّ أن يكون لهم من صفحاتها مجال تسبح فيه ملكاتهم الخصبة، ويجد فيها أدبهم الرفيع وثقافتهم الممتازة مرتعاً رحيباً ومطمأناً إلى حين.

ا: م

واجعل خيالك واقعاً أو مت عنا ..

يا قلبُ فيمَ الحبُّ أو فيمَ المنى ؟   والحب كالعنقاء، لا هي أو أنا
أما المنى من غير حبٍّ في الفتى   هيَ باطلٌ لاخيرَ فيها أو غَنا
عجباً أتتَّبعُ الخيال وتبتغي   فيه دنىً لكَ إذ تصدّ عن الدُّنى ؟!
متوثبٌ ؟ والساق جدُّ ضعيفةٍ   أم طائرٌ ؟ والجِنحُ مطويٌّ ثِنىً
فَلأنت كالباني قصوراً في الهوا   والغيرُ شيَّدَ في الثرى لما بنى
فدعِ الخيالَ اذا توقف عاجزاً   متلفتاً، فهْو الخرافةُ والضَّنىَ
أو إنْ تكنْ رجلاً فحققْ منيةً   واجعلْ خيالكَ واقعاً أومتْ عَنا

بغداد   أيوب

واجب الشاب العربي

يعيش الشاب العربي اليوم في عالم تتسابق أممه ، وتتنافسُ شعوبُـه ، وتتعارك دوله أشد العراك في أكثر الأحيان ، وكل أمة من هذه الأمم تبذل ما في وسعها ، وتقدم كل ما تُطيقه في سبيل تكوين جيل جديد من بنيها وشبابها ، يكون عدة الحاضر وأمل المستقبل والمعتصم عند النوازل ، والملجأ لدى الكوارث ، . . والأمة العربية الكريمة التي حملت أرفع الرسالات ، وأدّت للإنسانية أكبر الأمانات ، وأذاعت بين الناس أجمل المبادىء ، ودعت بين العالمين بأحسن الدعوات ، دعوات السماء والنور ، والروح والأخلاق ، وتلتفتُ وراءها فترى لها في ماضيها تاريخاً مجيداً تليداً ، كله المفاخر والمآثر ، وتتطلع الى الغد القريب أو البعيد فيدفعها الأمل ويحدوها الرجاء ؟ هذه الأمة العظيمة الكريمة المجيدة تحتاج في نهضتها الحاضرة التي نشاهد بوادرها وبواكيرها ، جيلاً جديداً ، قويًّا في جسمه ، ناضجاً في عقله ، نبيلاً في خلقه ، فما هو واجب الشاب العربي في هذا الميدان ، حتى يكون شبلاً قويًّا فتيًّا من أشبال ذلك الجيل الجديد ؟! . .

أمام الشاب العربي واجبات كثيرة وتبعات جمّة ، لا بدّ له من أن يعني بها ويلتفت إليها ويحبس نفسه عليها ، ولا نستطيع في مجال محدود كهذا المجال أن نفصل أو نحلل ، أو نحصي ونستقصي ، فحسبنا إذن أن نطوف بعناوين واجبات ورءوس مسائلَ ندع جزئياتها والحديث عن تفاصيلها لألمعية ذلك الشاب العربي الذي تكفيه الإشارة وتغنيه عن العبارة !!.

يحتاج الشاب العربي في هذا العصر الناهض المتنافس أهله وأبناؤه أن يدرس جغرافية وطنه الأصغر ، وهو مسقط رأسه ودولته التي نشأ فيها وتحت حكمها يعيش ، وجغرافية وطنه الأكبر ، وهو سائر الأقطار العربية الشقيقة ، وكذلك تاريخ وطنيه الصغير والكبير ، فإنه من المؤسف المؤلم أن نرى الكثرة الغالبة من شباب العرب هنا وهناك لا يعرفون من تاريخ بلادهم أو جغرافيتها إلاّ النذر اليسير ، ولعلّ شباب مصر في جملتهم بتاريخ الأقطار

العربية وجغرافيتها أكثر من غيرهم وأسبق ، لأسباب كثيرة ليس هذا موطن عرضها ، وسائلْ إن أردت التأكد من هذا شابًّا مصريًّا عن عواصم الأقطار العربية أو مدنها الكبرى أو تاريخ جغرافيتها أو ماضي تاريخها، فإنه لن يحير جواباً ، ولن يرد بما فيه غناء

ولقد تسائله عن أقطار أوربا وأمريكا فيحدثك عنها حديث العارف بدقائقها قبل جلائلها ويسرد لك أسماء الكتب التي قرأها عن تلك الاقطار وأما بلاده ووطنه فليس لها عنده حساب !

والشاب العربي لا بدَّ له من أن يعرف الآلام السياسية والاجتماعية والمادية التي يشكو منها كل عربي أو مسلم ، فان الشعور بالنقص أول درجات الكمال كما يقولون ، ولقد كان لك أيها الشاب العربي في الزمن الماضي وطن عزيز ، وتاريخ كريم ، وآباء وأجداد قادوا وسادوا ثم جرت الأحداث والنكبات على أخلافهم فذلوا وهانوا، وحسبك أن تسمع في ذلك أنة الشاعر العربي إذ يصوّر ذلة الوطن العربي بعد عزته، وضعفه بعد قوته ، ونزوله بعد ارتفاعه فيقول:

مالي وللنجم ؟ يرعاني وأرعاه !   أمسى كلانا يعاف الغمض جفناهُ !
لا تحسبنِّي محبًّا يشتكي وصباً   أهونْ بما في سبيل الحب ألقاه
إني تذكرت ، والذكرى مؤرّقة   مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
أنَّى اتجهت إلى الإسلام في بلدٍ   تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
ويح العروبة ! كان الكون مسرحها   فأصبحت تتوارى في زواياه !
كم صرَّفتنا يدٌ كنَّا نصرّفها !   وبات يملكنا شعبٌ ملكناه ! !

وها هو ذا شاعر العرب والاسلام ، أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقي بك ، يهنىء المغفور له الخديوي عباس حلمي الثانى بخروجه الى الحج في قصيدٍ طويل رائع ، يختمه بأبيات هي أنات وزفرات وحسرات على حاضر الشرق العربي الاسلامي ، وفيها دعاءٌ صارخٌ وأملٌ حارٌّ ورجاء قوي في أن يدفع الله عن العروبة هذا البلاء ، وأن يحرض أهلها ويوفقهم لكي يعملوا كما عمل سواهم في ميادين العلم والصناعة والحضارة ، فيستردوا مجدهم وماضيهم الزاهر الناضر ، فيقول مخاطباً الخديوي عباس :

إذا زرت يامولاي قبر محمدٍ   وقبَّلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت من العين الدموع مهابة   لأحمد بين الستر والحجرات

وأشرق نورٌ تحت كل ثنيةً وضاع أريج تحت كل حصاة (١)
لمظهر دين الله فوق تنوفة وباني صروح المجد فوق فلاة (٢)
فقل لرسول الله ياخير مرسل أبثكَ ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهفٍ في عميق سبات
بأيمانهم نوران : ذكرٌ وسنةٌ فما بالهم لا يعملون لآت ؟
وهذا زمان أرضه وسماؤه مجال لمقدام كبير حياة
مشى فيه قومٌ في السماء وأنشأوا بوارج كالأبراج ممتنعات
فقل : رب وفِّق للعظائم أمتي وزيِّن لها الأفعال والعزمات (٣)

هذه صرخات أوحى بها ما أصاب أقطار العروبة من آلام ونكبات ، ومن المؤلم أن تكون هذه النكبات بعيدة عن قلوب الشاب العربي ، ولو أنهم أدركوها وأحاطوا بها لدفعتهم الى تغيير ما هم فيه من ذل وخسران ...

وكذلك يجب على الشاب العربي أن يعرف الآمال التي يأملها وطنه ويرجوها في حاضره ومستقبله ، فإن الإنسان الذي لا يحس بألمه لا يمكن أن يبرأ منه ، والشخص الذي لا يدري ما تحتاجه صحته وسلامته يكون عرضة للآفات والنوازل ، فاذا أهمل وفرَّط ثم ابتلي وأصيب ، فلا يلومنّ إلاّ نفسه ، وما أصدق ذلك الذى قال :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمة فتنوء منه بفادح الأثقال
ظلم الرعية كالعقاب لجهلها ألم المريض عقوبة الاهمال !

وهذا الخاطر السابق يسير بنا إلى خاطر آخر يتصل بهذا الموضوع ، هو أنه يجب على الشاب العربي أن يحصل في هذا العصر على أكبر قدر ممكن من العلم والمعرفة والثقافة ، لأننا في عصر لا تتنافس فيه الأمم بأجسامها أو سعة أراضيها أو كثرة عددها أو انفساح مداها ، بل نحن في عصر العلم والفكر ، في عصر الكتاب والمعهد ، في عصر المذياع والبرق والبارجة والمدرّعة وحاملة الطائرات والقنبلة الذرية وتحطيم الذرة ، في عصر الوصول الى أدق ما في الكون من أسرار ، في عصر استخدام الهواء والماء والسماء وجوف الأرض ،

---

(١) الثنية : طريق الشعب ، وضاع : فاح . (٢) تنوفة صحراء واسعة . (٣) هذا أحسن ما يهدى الى الذين يهاجون كتاب « هذي هي الاغلال » — المحرر

مسافة قليلة من الزمن مرتبة كبريات الصحف والمجلات في الشرق العربي ، وبخاصة إذا توفر لدى القائمين بها عامل الصدق والاخلاص في هذا المجهود ، فهل من متقدم إلى الميدان ؟! ..

والشاب العربي في حاجة إلى أن يدرس ما كان لأسلافه العرب الأوائل من محامد ومفاخر ، دانوا بها الزمان وحلوا بجمالها جيد الأيام ، وما ضمنوه صفحات التاريخ الباقي من نواحٍ امتازوا بها عن سواهم وحرصوا عليها ، حتى تكون هذه المفاخر الرائعة من أقوى الحوافز للشاب العربي تحفزه إلى إن يتشبه بالذين سلفوا من آبائه ، ويسير على طريقتهم ، وينهج نهجهم ، وينسج على منوالهم ، وكذلك يجب عليه أن يدرس في الاسلام من تعاليم خلقية واجتماعية واقتصادية ، حتى ولو كان الشاب العربي غير مسلم ، فلسنا نحرضه على ترك عقيدته الدينية بطريق غير شريف ، وإنما نحب له أن يطلع على تلك الجوانب المشرقة في دين الاسلام من جهة الأخلاق والاجتماع ، والقرآن الكريم بعد هذا أو قبل هذا يقول : « لكم دينكم ولي دين » .

والاسلام إنما جاء بلغة العرب وللعرب أولاً ، وإن كان للناس كافة بعد ذلك وانتشر الاسلام بجهود العرب ، وكذلك كسب العرب كثيراً من المفاخر بانتسابهم إلى الاسلام ، واستظلالهم بلوائه ودخولهم في دولته ، سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين ، فالصلة على هذا وثيقة جدًّا بين العروبة والاسلام ، وكما يجب على المسلم أن يعتز بالعرب والعربية ، يجب على العربي إن يعتز بالاسلام وتعاليم الاسلام ، حتى يكون لنا من هذا الترابط قوة ومنعة واتحاد !! ..

ومن اللائق بالشاب العربي في هذا العصر المجاهد المكافح أن يجعل له ناحية في الحياة يبرز فيها ، ويبز أقرانه فيها ، فيعكف على أية هواية شريفة ، أو ناحية مفيدة ، في العلم أو الأدب أو الفن أو الصناعة ، ليقصر عليها جانباً كبيراً من نشاطه ، ويستنفد فيها أوقات فراغه ، حتى يتقنها ويجيدها ويمهرها ، ويصبح علماً من الأعلام فيها ، إذ لا يكفي اليوم أن يأخذ الانسان من كل فن بطرف كما كان يقول القدماء ، بل لا بد له فوق هذا من أن « يتخصص » في ناحية من النواحي ليسبق فيها غيره وسواه ، فنحن في نهضتنا الحاضرة نريد أن يكون فينا أدباء ممتازون ، وعلماء متخصصون ، ومخترعون مبتكرون ، وصنّاع ماهرون ، وأفذاذ في كل ناحية ، وأعلام في كل ميدان ، وهذا لا يتحقق إلاّ إذا وجدت روح « التخصص » عند الشاب العربي ، فأدّى واجبه المعتاد في جميع الجهات الموكولة إليه ،

ثم اختصَّ ناحية من هـذه النواحي بقسط من العناية والرعاية حتى يوفى فيها على النهاية ويشرف على الغاية ، لأننا نحن العرب لا نشكو انعدام المجتمع المتوسط في علمه ومادته ، وقد يكون الجمهور عندنا في الجملة أرقى من جماهير كثيرة في نواحٍ كثيرة ، وإنما نشكو قلة العباقرة والممتازين في العلوم والفنون بيننا . وهؤلاء العباقرة هم الذين يصنعون على قلتهم تاريخ الأمم ، ويبنون مجدها ، ويبلغون بها الذروة من الحضارة والمدنية ، فما هو نوع امتيازك أيها الشاب العربي ؟ بل ما هي جهة « اختصاصك » التي برعت فيها ؟ .. هل حاولت أن تكون رساماً بارعاً ، أو أديباً ممتازاً ، أو صانعاً حاذقاً ، أو موسيقياً فناناً ، أو خطاطاً مجيداً ، أو رياضياً قادراً ، أو شاعراً نابغاً ، أو أية ناحية من نواحي التفرد والنبوغ ؟! . . .

وكم أتمنى أن يعوّد الشاب العربي نفسه على أن يلزمها بتقديم خدمة يومية لبلاده دون أن يحتقر شيئاً في هذا السبيل ، فكم من أشياء يظنها تافهة ، وهي في الحقيقة والواقع تؤدي إلى خير عاجل أو آجل لبلده أو للعرب جميعاً ، فبحثٌ عن تاريخ العرب خدمة ، ودفاعٌ ضد متهجم عليهم خدمة ، وتصحيح خطأ في لغتهم خدمة ، وكتابة مقال عن مفاخرهم خدمة ، وظهورك بمظهر مشرف لهم في خلقك ومعاملاتك وعاداتك خدمة ، وصلوات الله وسلامه على رسول الاسلام الذي فسح ميدان الإحسان والبر ، فجعل الكلمة الطيبة تقولها لصديقك إحساناً ، والأذى تميطه عن الطريق إحساناً ، والابتسامة في وجه ملاقيك إحساناً ، وردّ السائل ردّاً حسناً إحساناً ، وغير ذلك من وجوه الاحسان ، فلا تحتقر شيئاً أيها الشاب العربي في سبيل بلادك ، فان القليل إلى القليل كثير ، وكل ما نطمع فيه هو أن توجد فيك الرغبة الصادقة الأكيدة في السير إلى الأمام ! ! . .

يا شباب العرب . . أنتم عدّة الوطن وعماده ، وركنه وسناده ، بكم يقوى ويعلو ، ويشتد ويسمو ، وأنتم الذين تكتبون تاريخه وتغيرون وجهته ، فإلى الأمام ! . .

إلى الأمام يا شبيبة العرب وكتيبة الغَلَب :.. إلى الأمام يا جند النصر وأهل الصدر ! ..

إلى الأمام يا حزب الرحمن وقَهَرَة الشيطان ! .. إلى الأمام والله معكم ، ولن يَتِرَكُم أعمالكم . هو وليُّ الصابرين ، ومثيب العاملين ، وناصر المجاهدين ، وهو نعم المولى ونعم النصير ! .

احمد الشرباصي

المدرس بالازهر الشريف

قصة للتاريخ

— ١ —

تنفس الصبح وهي ساهرة تذكر الماضي فيطوف بها الأسى، وترقب وجه النهار المقبل فيهتف بها الخوف. لقد كان زوجها حبيباً فشربت كأسه مُرَّةً وهو في ربيع دنياه، وكان ولدها البكر زينةً ورجاء فثكلته بعد أبيه، ثم كانت مشيئة الله في بصرها الغالي فكَفَّ من مدِّ البكاء، وكادت نفسها تفيض لولا رحمة من السماء شاءت لها أن تعيش . . .

وأنت لو شهدت هذه المكفوفة في ليلها ذاك، لحسبتها ظلاًّ لامرأة جلست على حشية فقيرة، وقُرْبَة من نائم شاب تتحسسه مترفقة، فتمرّ بيدها الراجفة على رأسه، وتمرّ بها على دثاره، وتستاف نسيمه تارةً كالشحيح الخائف على نفيس عنده، فهو يأخذ نفسه بالتماسه، ويأخذها بمعاودة هذا الالتماس، وفي الأحيان المتقاربة.

كان هذا الشاب ولدها الوحيد، أو طفلها كما تدعوه، وإن كان قد عدّ عشرين ربيعاً، وغداً يستأثر بفضاء الباب حين يدخل عليها، ولعلها أُخذت، في إرادة هذا الامتداد لطفولة إبنها، بشعور مشفق حريص، كأن الشباب يسلبها الملاك عليه، أو كأنها تجد في الطفولة عوذةً تقي من العين.

ولكن أيّ وجه من الحياة مخوف توشك أن تستقبل إذا كان النهار؟ ونطلب الجواب فنرتدّ إلى الحرب العالمية الأولى يوم كان السلطان للترك، ونعرِّج على مدينة من تلكم الجاثمات على شاطىء البحر الشامي، ففي هذه المدينة القديمة الجميلة تقيم الأم وفتاها، وفيها كما في غيرها من بلادنا الحبيبة كان الشبان وكان الكهول يساقون الى الجندية على عجل، وفي شيء من العنف إن شئت نبأ الناس يومئذٍ.

وكان الفتى إبن المكفوفة هذه — وندعوه فؤاداً — من بين أولئك، فاحتجّ بأن ليس لامه من عائل آخر، ولكن سجل النفوس شهد أن له أخاً، فقيل: ليس بُدٌّ من أن يسام

أحدهما في الذود عن حياض الدولة ، ولا مفرّ من الواجب المقدس .

قال الفتى : (نعم لقد كان لي أخ ، فعجلت به المنون مهاجراً في ديار الغرب منذ أعوام خلت ، وعندي على موته طائفة من البينات إن إردتموها) . ولكن المجلس العسكري الموقر أبى أن يأخذ بقول الشاب فالوفاة في عرف القانون إنما تثبت بنص السجل ، والسجل هنا ليس فيه شيء مما زعم ، ثم هذه خزانة السلطان قد رفقت بأهل الخصاصة من ذوي الجنود ، فجعلت للانسان منهم كفاء ما يحرر من العوز ، عشرين قرشاً في الشهر الواحد !

حمل فؤاد هذا الى أمه ، وحمل إليها إنه من الغد صائر الى الجندية ، يستقبل عهداً لا يعرف لنفسه فيه غاية ، ولا لذات غيبه مصيراً ، ثم أردف يقول : وليس من حيلة يا أماه ! إلاّ أن أستجيب ، ولعلي أرتد إليك سالماً ، إن كُتب عليّ أن أعود .

قالت — وإلى أين هم آخذوك ؟

قال لا علم لي بهذا يا أماه ! وإنما رأيت الناس يتحدثون بأن الحرب قائمة في الشمال وفي الجنوب ، كما هي في الشرق وفي الغرب .

— ومتى تعود إليّ ؟ فاني ما زلت أذكر أخاك .

— لعلّ الله يحدث أمراً ، فلا تطول غيبتي .

— امضِ من غدك على بركة الله ، وسأدعو لك دائماً كما أفكر فيك ، وقد اضطر فأبيع بعض ما في البيت ، فلا يسوءنك هذا إن فعلته .

— كيف يا أماه ! ولعلي أجد ما أبعث به اليكَ ، فلست أعلم إلاّ أن الله رحيم كريم .

على هذا تنفس الصبح ، وهتف المؤذن : حيّ على الصلاة ، الصلاة خيرٌ من النوم ، فاذا الأُم تنهض فتبرح مجلسها ذاك في شيء قليل من الحركة ، وشيء كثير من الهدوء ، حذر أن يحس طفلها النائم ، فهي إنما تحب له أن يتزوّد من الراحة ما وسعه أن يتزوّد لغده . ثم أخذت تتلمس طريقها قِبَلَ فتاة يتيمة في البيت لا تعرف إلاّ أنها تعيش على خدمته ، فهي فيه ثالثة اثنينِ ، تحب الأم وتعبدها ، وتحب الفتى وتعبده على صمت وهي تعلم أنها لا تشغل شيئاً من فراغ قلبه .

ولم تكد تبلغ مرقد الفتاة حتى أحسّت يقظتها ، وسمعتها تقول : (فانني نهضت قبلكَ

يا أمّاه !) وكان هذا النداء محبباً إليهما جميعاً ، يعذب على لسان الفتاة فتتعمده أحياناً ، ويعذب في أذن الأم فهي تجد عليه من الاخلاص المأمون حلاوة ، وتتخيل شيء من العزاء لو كان للقلب الثاكل المفجوع من سبيل إليه .

وتسعى الفتاة فتأخذ بيد السيدة ، فتحس هذه دمعاً يسّاقط ، فتنفرج لها ذراعاها وتروح تضمها ما وسعها أن تفعل ، كأنما هي تريد أن تطفئ بين الجوانح لهيباً ، أو أن تخمد ثائرة ، أو أن تترجم عن شيء يهجس به الخاطر فتقول : (أنتِ ما أبقى لي الزمان) ، وتسكن الصغيرة إلى صدر الأم هنيهةً ، ثم تتخلص مترفقة فتنطلق تهيء لها وضوءها ومصلاّها وللفتى ما أوصى للسفر من متاع .

وتأخذ السيدة في صلاتها ، ثم في الابتهال الى الله تلتمس لقلبها الصبر ، ولولدها العون فيما يستقبلان من همّ هذه الغربة الدانية . وتشهد الفتاة هذا الابتهال . فإذا هي تهتزّ على سحر الخشوع ، فيقوم في روعها أن تنهض فتصلي ، وتعجل فتأخذ في وضوئها ، ثم تستقبل السماء تدعو للفتى كما تفعل أمه .

وما كاد وجه النهار يشرق حتى كان فؤاد قد استفاق فنهض يتهيأ لما هو مقبل عليه ، وإذ تم له ما أراد سعى الى أمه ، فطال بينهما العناق وطال البكاء ، والفتاة آخذة بنصيبها من الحزن واللوعة جميعاً ، حتى ومن الشوق فهي لا تعرف من قلبها إلاّ هذا الحنين الى فؤاد .

وتشفق الأم على ولدها فتخلي عنه ، فيلتفت فاذا الفتاة تهمّ به ، فيتلقى الحنان البريء الخجول مودعاً ، ثم يمضي وينغلق باب البيت . . .

* * *

— ٢ —

لو كان الذي طاف بهؤلاء الناس حظّاً من الغنى ، أو كان جاهاً من المجد لأحسه الجيرة بل وأهل البلد ، ولساهموا فيه قليلاً أو كثيراً ، ولكنه كان شقاء فما فطن له واحد من الخيّرين ، ثم مرّ الزمان ينفق من أيامه ولياليه ، فمضى عامان أو أكثر قليلاً ، وكنا

لا نعرف من نبأ فؤاد شيئاً ، حتى أقبلت رسالة منه ذات يوم على صديق تقول :

عزيزي كمال :

كان من حقك عليّ أن أكتب إليك منذ حين لأصل عهد الشهود بعهد الغياب ، فنعود نحيا على أحلام المجد العربي ، ولكن هذه الجندية ظلت تطوّف بي حتى هذا البلد الذي أكتب منه ،

وبعد فما أريد أن أحدثك حديثي ، ولا أن أسألك ما فعل الزمان بأمي فهذان ما لست استأثر لهما بوقتك كلاّ ، ولا أريد أن أقص عليك متاعب الجندي العربي في هذه الحرب ، أو أن أصف لك عبث أعوان هذه الحكومة بالحرمات والحقوق والأرواح جميعاً ، وهذا ما لا ينقصك علم طائفة منه . فقد كثر ما تحدثنا به أيام عهدنا القريب .

وإنما أريد أن أتحدث إليك بحديث تجربة عربية في هذا البلد العربي ، وقد كان يسعدني أن أجمّلها بالعطر والنور ، فلا أشقيك بها ، ولكنا — يا صديقي — في حاجة الى العبرة والعبرة الموجعة ، أكثر منا الى العيش على الأشواق السادرة .

إن حياة العبودية في كنف الإستعمار لشيء سيء حقّاً ، ولكن الأسوأ منه أن تفتح عينيك فاذا أنت عند قومك أمام انحطاط في الروح عن مرتقى الشعب السيد .

وأهدف الى غرض الحديث فأعلمك أني غشوت هذه المدينة تابعاً لضابط تركي ، ولم يطل الوقت كثيراً حتى كنت أخا ودّ لنفر من الشباب وجدتهم قد أخذوا بأخذنا من هذا الحلم بالسلطان العربي ، ورأيت الناس على طرب واستبشار بحاكم جديد، ليس لأنه العربي الفرد بين حكام المقاطعات ، فالحكام من العرب — وأنت تعلم — غير قليلين ، وإنما كان الطرب والإستبشار هذان لأن الرجل من العربية في مُصاصها ، ومن الوعي القومي فوق قمة الجبل .

وراحت صلاة هذا الحاكم تذيع تقواه ، وإن كانت في مثل صلاة الخائف وحديثه يذيع صلاحه ، وإن كان فيه بقية من روح عبد الحميد ، وراح أهل البلد يرون فيه رمزاً للحُلم الضخم ، وينصتون إليه في إعجاب المفتون ، فهو عبقري في السياسة ، وعبقري في تعبئة الجيش وتحريكه ، وعبقري في الادارة حتى وفي الأدب والتأريخ .

وعاش النـاس يحلمون ، وعاش صاحبهم يحلم معهم ، وانقضى زمن ليست الموعظة فيه انه مرّ طويلاً أو قصـيراً ، وإنما هي فيما استفاق عليه الجمهور ، حين استفاق فاذا الرجل يستخف بالتبعات والقانون والعفة جميعاً ، ويترخص في مهام الحاكم النزيه .

ثم أخذ يحرّك لسانه فيرتجل المتنافسين على بابه ، ويمدّ سلطانه فيدخل بين المرء وزوجه ، ويتصل حتى بالشرطيّ وبالجلواز ، وتتسع ذمتـه للقروض التي لا ترد، وللهدايا وإن بذلت في سبيل لا تذكر إلاّ همساً ، وللبـدَر من المال يقدمها أغنياء الحرب الأتقياء نفقةً لأسفاره في طلب المجد.

وكان من أثر هذه السيرة الصالحة ، أنْ استخفَّ أعوان الحـكومة بالتبعات ، فاجتازوا الحدود حتى لقد صارت الرشوة شيئاً لا يلتمس له الخفاء .

وترعرع على بساط هذه الاباحية الخضراء نفر من التجار الصالحين ، وراحوا يزقون القائمين على الأمر كما يفعل الحمام بفراخه ، فصار الحـكم يستغل لا لصالح الشعب بل للمصالح الذاتية ، وأخذت السلع تختفي ، والأسعار تفحش ، والثروة تنحصر في أيدي طائفة قليلة من الناس ، ودأب هذا العبث ، وطال به شقاء الناس في البلد ، وأنت إن قلت أفسد هؤلاء التجار أخلاق الموظفـين ، قالوا : (إنها لفاسدة منذ يومهـا) أو قلت : غاضت دماء المستهلـكين ، أين الضمير ؟ قالوا : (إنْ هو إلاَّ الاسم الاصطلاحي للجبن) ، وإن قلت : ألا صوت في طلب الصلاح يرتفع الى السماء ! سمعت الهمس من حولك ، وليس غير الهمس .

قد تعلم بموت الاصالة عند إنسان من الناس فلا يثيرك أو يشجيك هذا الأمر كثيراً ، ولـكنك لا تملك إلاّ أن تعجب وتحزن كثيراً حين تعلم بأن هـذا الانسان أفسد بلداً ، فصار التفوق فيه ؟ لا للمثل الفاضلة ولا للأخلاق ، أو للنزاهة ، بل للنفاق ولليد الطولى وللنوم على القذى .

حسبك اليوم — أيها الصديق — ما سمعت من نبأ القوم في هذا البلد ، وقد تتهيأ الفرصة فاتصل بك ، لعلك تجد فيما أكتب اليك قصة للتسلية ، أو للتاريخ إن شئت، وسلام عليك من. فؤاد

* * *

- ٣ -

قال الراوي : —

وانقطعت أنباء هذا الشاب حتى انتهت الحرب وكانت الهدنة ، ورجع الجنود من فتيان بلده الى أهلهم ، فقصَّ أحدهم بقية الحكاية فقال :

كان فؤاد موفور النصيب من هذه المعاني الآسرة تجدها عند بعض الناس فلتةً فما تدعك إلاّ وقد أحدثت في نفسك حبًّا أو أحدثت لصاحبها عهداً . ورأته هند يتردد الى بيت رئيسه الضابط ، فوقفت عند نظرها اليه ، وراحت ترقبه في غدوه ورواحه ، وتتحين مرآه وتفكر فيه ، ولم تك بالعابثة تريد أن تلهو بأشواق الشباب زمناً يطول أو يقصر ، ولا بالجاهلة بعد ما بينها وبين الفتى ، بل لقد جاهدت جهاد المحصنات علَّ قلبها ينصرف فعصى ، وظلَّ على الشوق يجرر به في عناد وإصرار .

* * *

ومرت الأيام فاذا هي تعتزم أن تبلو الفتى من قريب ، فتمضي فيما اعتزمت وتجري الصلة بينهما على اللقاء يتكرر ، والحب العذري يذكو ويتأصل ، والأحلام ترقى على مدها وتسبح ، والحديث يرق ويصفو ويعذب ، ثم ينساق الى حلم الزواج ، فما كانت تريده ، ولا هو كان يريدها الاّ على الطهر والسنة ، ولكنهما يجدان هذه العقبات يضعها الغنى والجاه والحسب دونهما ، فهي إبنة أولئك جميعاً ، وهو غريب غير معروف ، وأهلوها لا يسلمون بأمر ليس يجمل بهم .

ولا يقف بهما الرأي الاّ قليلاً ، فاذا هما يؤثران الصبر والريث الى أن تستوفي الحرب أجلها فيختفيان في بلد آخر زوجين حبيبين ، وأمتدَّ حديث الأحلام بين هند وفؤاد ، فكان همسًا حيناً ، وحلواً شهيًّا حيناً ، بل فوق هذا وذاك كان علويًّا جرى مع الطهر ، وسما بالروح ، ثم انتهى كما تنتهي الآجال في هذا الوجود .

ودَّعته على أن يعودا الى نجواهما في لقاء مقبل ضربت له الفتاة الجريئة موعداً ، ثم خرجت قبله من المكان حذر العيون .

ولكن القضاء كان يبتسم ، فلقد كتب على شخص ثالث أن يقف دون ما قدرا للحياة السعيدة ، وكان هذا الشخص من ذوي لُحمتها ، تقدّم من قبل في طلب يدها ، فلم ترضه بعلاً لاختلاف ما بينهما في تناول الحياة ، ولم يكُ بالشيء الغريب أن يجعل من نفسه عليها عيناً . فلقد كان شاباً شريراً ، وصاحب حيلة واقدام أوصلاه إلى سرها ، ثم إلى مكان خلوتها بصاحبها ، ثم إلى أن يستمع حديثهما من حيث لا يشعران ، وما بعدت الفتاة إلاّ قليلاً ، حتى كان قد ولج المكان على فؤاد ، فعاجله بطعنة نجلاء ، ثم أجهز عليه ، ثم جعله قطعاً ، وجاء بحقيبتين ، فوضع فيهما أشلاءه وانتظر حتى أقبل الليل .

***

كان القاتل ومعه شخص آخر يحملان حملهما ذاك ، وكان الليل قد تقدم ، فباغتهما العسس يتلصصان في مشيتهما ، فأمرا بالوقوف ، ثم سئلا عما في الحقيبتين ، فما تلعثم القاتل الشرير وزعم أنهما هدية الى الحاكم ، وانما اختار لها سُدفة الليل حرصاً على سمعة الرجل ، ولم يكُ بالعسس من جرأة على المزيد في السؤال .

ويعمد الرجلان من ساعتهما إلى كهف في ضاحية المدينة ، فيلقيان فيه بأشلاء الذبيح ، ويرجعان كأن لم يكن من الأمر شيء .

وتفقد الجيش فؤاداً فما وجد له أثر ، وتفقدته الفتاة فما علمت شيئاً ، وتفقدته والدته منذ انقطعت أخباره ، فما استطاعت أن تعرف اليقين من أمره .

***

واختتم المحدث كلامه فقال —

لم يكن قد مضى من الزمان غير عهد قريب حين فتح الكهف لغرض التنقيب عن الآثار فعثر فيه على عظام هي عظام صاحبنا الفتى الذبيح ، ولكن الموظف الخبير زعم انها لانسان عاش في العصر الحجري المتأخر .

عمان — شرق الاردن — شكرى شعشاعه باشا

كيف نعيش مائة عام

تلك أمانيهم . الناس جميعاً لعمرك كلفون، بالحياة . تمنوا أن تطول ما وسعها أن تطول، ولو شابها النصب والوصب ، وعمها الأذى والكدر ، حتى لقد تمنوا الخلود ، فلما أعجزهم نيله على الأرض ، راحوا يطلبونه في حياة أخرى .

وقد بحثت الجمعية الطبية البريطانية أمر المعمّرين . فخرجت من نتائج بحوثها بأن قصار القامة أطول أعماراً من متوسطيها وطوالها ، وان المتوسطين وزناً ، أو دونهم ، هم كذلك أحظى بطول العمر من الزائدين وزناً .

على أنه إذا كانت هذه الحقائق العلمية لا مطعن فيها ، فما هي بالقانون المطلق ، ولا ألسنة العامة ، فان لطبيعة الأشخاص ، وفطرة أمزجتهم ، تأثيراً كبيراً في طول أعمارهم أو قصرها . ذلك انه من المقررات الفسيولوجية ، والتحقيقات العلمية ، ان الذين يعيشون عيش الارهاق ، دأبهم العجلة ، والوثبة ، يحملون أنفسهم على الجهد ، والعنت ، والاسراف في كل عمل ومأتى وحركة ، لا يعمرون . ذلك لأن الحركة العنيفة ، والشعور المتوقد الثائر ، والعاطفة المسرفة ، كل أولئك باعث على افلات كيماويات معلومة في البدن ، تلج الدم فتوقد جذوته ، فتتضاعف دقات القلب ، وتُؤذى جدر الشرايين ، فيشتد ضغط الدم ، فتسوء الحال . وكلما تكرر ذلك العنف والاسراف ، جلّ الخطب ، وضاق بساط العمر ، وقرض الافراط من أطراف الحياة .

كما ان للطعام وزناً كبيراً ، وشأناً خطيراً في جولة الحياة ودولة أطوارها ، وما تنعم به من العافية والسلامة ، أو تبلى به من علة وضمانة ، وغُنمها من امتداد الأجل ، أو غرمها من قصره ، إذ أن حموضة الدم من جالبات الأمراض ، ومقصرات الأعمار . وما تستوطن الحموضة مراتع الدم إلاّ من تناولنا أطعمة غير صالحة ، أو يكون من طبيعتها توليد الحموضة

والأطعمة القلوية مضادة لهذه المضرة ، وفي رأسها الليمون . وقد قال طبيب انجليزي مشهور غاب عنا اسمه :

«اذا أكلت كل يوم ليمونة أو ثلاثاً ، عند ما تكون ظمآناً ، عشت طويلاً ، وحظيت بصحة جيدة » .

فليكن غذاؤك سهل الهضم ، قليل المقدار ، كثير الأملاح المعدنية والفيتامين ، وهذا ما يتوفر لك غاية التوفر في فج الخضر والفواكه . ولا تنسَ ان تجمع الى هذا نفساً راضية ، وألاّ تغمها بالهمّ والكدر .

وقد كنا قرأنا في تلغرافات الصحف عام ١٩٣٠ أن عالماً المانيًّا اكتشف طريقة لاطالة العمر إلى السبعين بعد المائة ، مدارها على أكل الأطعمة النباتية غير المطبوخة .

وذكروا أن أهل باريس في القرون الوسطى لهجوا بمنفعة اكسير كان قد صنعه رجل يدعى فيلار ، رغم أنه أخذ سرّ تركيبه عن عمه الذي مات عن أرذل العمر . فمن تعاطاه ، بلغ سنًّا ، وامتدَّ أجلاً ، حتى يسأم الحياة .

وكان يبيع الزجاجة الواحدة بستة ريالات ، وتوافد عليه الناس من كل حدب ينسلون ، يلقفون الزجاجات في لهفة الواله المشتاق ، حتى أثرى الرجل وكان من المترفين . قيل وزين لأحد الكيماويين أن يكشف دفين هذا الشراب ، فما زاد ، إذ حلله ، أن علم أنه ماء صرف من نهر السين في فرنسا قد خولط بقليل خل وحبات من ملح البارود ، وكان الناس ، مع هذا ، إذا تناولوا اكسير السيد فيلار ، تطول أعمارهم حقًّا ، لا لأكسيره في ذاته ، ولكن لما نقل عنه ، إنه كان يوصي المتعاطين اكسيره ، بلزوم الاعتدال في المطعم والمشرب .

* * *

وبعد فقد اطلعنا على مقال نفيس في موضوعنا هذا ، طلبة النفوس وعُلالة الأذهان ، بقلم الكاتب الفرنسي المعروف ، أميل هينريو ، في جريدة (الطان) الفرنسية ، فاستملحنا نقله لقراء (المقتطف) الأفاضل ، فان فيه فائدة ، وان فيه تفكهة . قال :

« مما يبعث على السآمة . وكراهة بلوغ المائة ، في من أشرفوا على هذه السن ، هو تشابه السؤال ورغبة الاستطلاع ، من كل من يلقاهم من الناس . فما ترى السائلين إلاّ يسألونهم سؤالاً واحداً لا تبديل فيه ولا تعديل : « كيف يا هذا ، صنعت ، حتى بلغت المائة ؟ » .

تشابه السؤال ، واختلف الجواب : فأخو مائة يجيب : « ما أقلعت يوماً عن التدخين ،

والخمرة ، وأكل اللحوم الحمراء ، مبلغ الجهد . » وأخو مئة غيره يقول : « ما شربت قط غير الماء القراح ، ولا ذقت إلاّ الفاكهة خالصة » . ألا فليهنأ أولئك المسان الذين استطاعوا أن يعزوا ما أصابوا من حظ وتوفيق الى ذات فطنتهم ، وما أوتوا من حكمة ! ولو أنه كان للمعمرين مدرسة ، فما أظنها تكون واحدة ، ما دامت الوسائل متعددة .

وبعد . فهل من المستحب بلوغ المائة ؟ انك لتجد كثيراً من الناس ، إذا خالجتهم هذه الفكرة ، أوجسوا منها خيفة ، ما أراهم ، لعمري ، إلاّ حرموا نعمة الخيال . فهم لا يفقهون إلاّ الحاضر ، ولا يقيمون وزناً إلاّ ليومهم الذي يعيشون فيه ، ولا مهنأ عندهم إلاّ فيما ملاكه الحياة الناشطة الجاهدة الفتية ، الناهضة الجناح ، ولا يستطيعون أن يجدوا أنفسهم قد استحالوا ، وأصارهم كرّ الليالي الى غير ما كانوا عليه . وبخلاف ذلك ترى الذين بلغوا المائة هانئين بما عمروا ، ولا أشهى عندهم من دوام العيش وطول البقاء ، ويستفرغ عجبك ما هم فيه من التفاؤل والاستبشار ، وإن كان هذا ، مع ذلك لا يستغرب ولا يستغلق على العقول ، إذ أنهم لفرط ما عاينوا وشاهدوا ، لا يكترثون إلاّ قليلاً بما يسوؤهم ، أو بما اعوجّ من أمور الدنيا ، وساء من سلوك الناس ، وبما يؤثر في من هم في غضاضة الشباب ، من الذين هم أقل منهم فتوراً وتبلداً .

ليت كان بيدي الآن إحصاء للمنتحرين ، فلتعلمنّ اذاً أن الزاهدين في الدنيا المستثقلين الحياة هم في الفتيان أكثر عدداً منهم في الشيوخ ، ولعلهم إنما تطاولت أعمارهم وتشبثوا بحبال الحياة ، لأنهم ولدتهم أمهاتهم متفائلين .

أما كون التفاؤل والاستبشار شرطاً لازماً لطول العمر ، فما ذاك ببدع . تلك حقيقة أكل الدهر عليها وشرب ، ولكنك ، على كل حال ، تقرّ عينك أن تعلم أن تلك الحقيقة قد تجلت مسندة ، مدعومة بالبراهين العلمية في كتاب صنفه الدكتور جورج لاكوفسكي ، يرد فيه طول العمر الى أربعة شعب : أولها وجوب إرادة ذلك واستشعار اليقين بامكانه ، وجوب عدم الخوف من الموت ، والايمان بالحياة الباقية ، وجوب ألاّ يكون الانسان غيوراً حسوداً ، ولا شريراً خبيثاً ، وذا ، ولا ريب ، أشق هذه الأمور وأعضلها . ويجب ، مع هذا ، أن تكون النفس راضية قانعة ، وذا ما لم يؤت اليوم جميع الناس ، للذي زعموا

من سبل العيش ، وأخذوا بأسبابه ، وما ذاقوه من جديد الحياة وطريفها . والطبيب النطاسي لاكوفسكي يضرب لنا مثلاً بفونتنل (١) الكيس ذي الحلم ، والنفس الراضية الهادئة ، الذي استطاع أن يعيش قرناً كاملاً ، دون أن يعاني أية مشقة أو صعوبة ، والذي كان يفسر لك ذلك الفتح المبين في باب التعمير بقوله : « انما كبرت سني ، لأني لم أكن ، في يوم من أيام حياتي ، مهرولاً ولا غاضباً » .

ولئن كان ذلك ، فما أجدأحد منا يستطيع الى هذا بلوغاً . عزّ ذلك وامتنع . انها لخطة لا يمكن العمل بها في يومنا هذا . عبثاً نحاول ألاَّ نجري ، فان هذا الزمن الذي نعيش فيه خليق بأن يدفعنا الى الاسراع والعدو دفعاً شديداً .

أما أن لا نغضب ، فليت شعري ، ما الوسيلة الى بلوغ هذا ؟ هيهات ! ذلك ما لا ينهض به الرجل الشريف ، والعرض الكريم . ان كل ما تقع عليه أبصارنا من أمور هذا العالم بعيدة كانت أم قريبة منافٍ للاخلاق ، مخزٍ للعدل ، مدبر عن الحق ، مستهجن ذميم ، سخيف دنيء لا يقوه العقل الرشيد . فكل شيء مما نسمع أو نرى من أنباء العالم ، وشؤون الناس يُسئم ويؤذي ، تثور له النفوس الكريمة ، ويستهجنه ذوو الألباب . فكيف لعمرك ، السبيل الى التزام السكينة . مع هذا ، وأنى لك التجلد وعدم الاكتراث ؟

أما إن استطاع امرؤ احتمال هذا الاضطراب الشامل ، ووسعه أن يكون رابط الجأش مجللاً بالوقار والسكينة ، فقد احتاج اذاً الى مقدار من الجهد العنيف يفت في عضده وينهك قواه . أليست حكمة فونتنل التي مكنته من بلوغ المائة قد صانته عن المضّ والمَعْض ، بأن جعلته بمعزل عن أمور الناس ، وشرور الناس ، وآلام الناس ؟ فما يتأتى ذلك الاَّ لمن جنح إلى العزلة ، وقرر نفسه على الابتعاد عن معارك الحياة ، والانقطاع عن ملاهي الحياة . فقد دلت الاحصاءات على ان من عمروا كانوا من البابوات والقسيسين ، ورجال العلم . فمن استطاع أن يكون منهم أو مثلهم ، وراض نفسه على ما نهجوا ، فله المهنأ بطول العمر ، ومبلغ المائة كاملة وافرة » .

احمد أبو الخضر منسي

---

(١) أديب فرنسي بارع وعالم متبحر في القرن الثامن عشر . وكان كاتب سر المجمع اللغوي الفرنسي الى يوم وفاته . مات في سنة ١٧٥٧ عن مائة عام وافية وافرة .

دلائل الخيرات

— اسمعي يا حورية .

— نعم .

— أتذكرين قطعة أدبية قرأناها معاً سنة ١٩٣٤ ، اسمها « في النار ولا تحترق » للرافعي ؟

— ماذا ؟ .. في النار ولا تحترق ؟ ... أوه . . أجل أذكرها . . أذكرها بالضبط ، قصة الراقصة المتدينة التي أرغمتها الحياة على التبذل والرقص مثلنا في الليل أمام الناس لقاء أجر تقتات منه هي واخوتها الصغار ، ثم تذهب بعد ذلك فتمضي بقية ليلها — بعد أن تتطهر — في الصلاة والتعبد والاستغفار . .

— بالضبط يا حورية . . بالضبط . . إنك تذكرينها جيداً . .

— وهل ننسى أمثال هذه الروائع التي تتصل بحيواتنا الأسيفة الأليمة ؟ اننا يا زينات مهما نسقط ومهما نهوى ، فينا من ميزات الناس ! .

— لست أقصد الى هذا من تذكيري لك بهذه القطعة .

— اذن الى أي شيء تقصدين ؟

— فريد .. فريد قائد فرقة الجازباند الجديد .. هذا الفنان الذي يحيا بيننا . انه يمثل تماماً حياة هذه الراقصة التي عناها الرافعي وصوّرها لنا في مقطوعته : « في النار ولا تحترق » .

— فريد وراقصة الرافعي ؟ كيف هذا ! انني لا أفهم عنك . حقّاً إن المايسترو فريد رجل مستقيم ، ولكن ما صلته براقصة الرافعي ؟

واعتدلت زينات في مجلسها وأشعلت سيجارة هافانا فاخرة وقالت لزميلتها حورية : إن نمرتك ونمرتي أنا أيضاً لن يأتي وقتهما الا بعد الساعة العاشرة والنصف ، ونظرت الى الساعة في معصمها وأردفت تقول : والساعة الآن التاسعة والنصف ، فأمامنا ساعة كاملة احدّثك فيها عن المايسترو فريد ، خذي هذه السيجارة . . قالت ذلك وصفقت بيديها

لحضر الساقي فطلبت منه أن يحضر كأسين كبيرتين من شراب البيرة المثلوج . ثم عادت للحديث مع صاحبتها ووجهها للسماء ، قالت :

— إنني أعرف فريداً هذا من عام ١٩٣٢ حين كنت مبتدئة في حياتنا الصاخبة المعربدة هذه ، في ملهى بديعة بالجيزة الذي كان معروفاً باسم «السمرفوليز» وكان رئيس الاوركسترا يأتي في كل ليلة ومعه فريد هذا وسنه إذ ذاك حوالي السادسة عشر فيجلسه الى جواره يعزف على الكمان ، وكنا جميعاً نسأل رئيس الاوركسترا عن هذا الشاب العازف الصغير ذي الصورة الجميلة وعن سبب احتضانه له ، وكانت بعض زميلاتنا الخبيثات يتهمنَ الرجل بأنه يعشق ذلك الفتى . ولكن الحقيقة أن فريداً هذا كان ابن شقيقة الرجل فكان يحضره معه يدرّبه على العمل ويقدّمه في الاوساط الفنية ، وكان لفريد من نبوغه وحبه لفنه ما جعله يتقدم تقدُّماً لفت إليه أنظار روّاد الملهى . . ولكن حادثاً وقع بين مدير إدارة الملهى المتعجرف وبين الفتى جعل الفتى يثور ولا يحتمل غطرسة هذا المدير . ويرد إليه إهانته بأضخم منها أمامنا جميعاً ، ثم يدع الملهى ويخرج ولا يعود إليه بعدها أبداً . وكنا نسأل عنه خاله رئيس الاوركسترا فآناً يقول إنه يعمل في الكيت كات . وآناً يقول إنه يعمل في البيروكيه أو غيرها . . إلى أن كنا في عام ١٩٣٨ وكنت مع صديق لي في ملهى الكارلتون باسكندرية ، وما كان أشد سروري حين رأيت الفريد هذا منتصباً بقامته المديدة وشعره الناعم يتهدّل على جبهته العريضة الناصعة ، يقود فرقة الجاز . . . وصدقيني ياحورية ، لم أملك نفسي — حين رأيته — من الاندفاع إليه عقب انتهائه من عزف مقطوعته وتحيته بحرارة وشوق أثارتا حقد صديقي الذي كان معي . وبقيت على تقديره والإعجاب به طوال ذلك الصيف . وأشهد يا حورية ، لقد كان هذا الفتى الفنان طاهراً عفّاً نقيّاً ، ولطالما انتظرت كثيراً أن يغازلني أو يدعوني — كغيره من زملائه — الى سهرة خاصة بعد العمل . فأبداً أبداً يا صديقتي ، لقد كان ملَكاً وكان شاذّاً في وسطنا هذا الموبوء المليء بالرجس والآثام . . تماماً ياحورية ، لقد كان كما قال الرافعي ، في النار ولا يحترق . .

وقطع حديث زينات قدوم الساقي وطلبها لمقابلة أحد أصدقائها الموسرين ، فقامت معه

بعد أن اعتذرت لزميلتها ، ولم تلتقيا إلا على خشبة المسرح وهما تؤديان نمرتيهما . . وبعد أن فرغتا من عملهما وذهبتا إلى حجرتيهما تخلعان ثياب الرقص وترتديان ثيابهما العادية ، أقبلت حورية على زينات في حجرتها تستحثها للإسراع والخروج لتتم لها حديث فريد . ولكن صديق زينات الثري كان بانتظارها في سيارته . وبالطبع اعتذرت زينات في رقة لزميلتها . .

* * *

ومضت الليلة وحورية تفكر في حديث هذا الفريد الذي تهتم به صديقتها ، وماذا عساها تكون حياته تلك المحفوفة بالنار ثم لا تحترق ولا تؤثر فيه النار ؟ . .

وفي الليلة التالية ، في نفس المكان والزمان ، أقبلت زينات على زميلتهاحورية تحدثها عن جولاتها بالنهار بمحلات الأزياء وغيرها مع صديقها الثري الأبله . ولكن حورية كانت في غنى تام عن سماع هذا الحديث المعتاد فقالت لصاحبتها : دعينا من هذا وحدثيني عن بقية حديث صاحبك فريد .

قالت زينات : آه . . إنك على حق . ثم أخرجت سيجارتين . أشعلت واحدة لنفسها والثانية لزميلتها وطلبت من الساقي قدحي قهوة . . وأحضرت القهوة واختلط دخان السجاير ببخار القهوة واعتمدت زينات رأسها بيمينها وراحت تحتسي القهوة وتجذب أنفاساً عميقة من سيجارتها ثم بدأت تقول : — حقاً . لقد عجبت لقفزات هذا الفنان السريعة من عازف صغير على الكمان إلى قائد أوركسترا فخمة في ملهى فخم كملهى كارلتون . . وعدت للقاهرة . . وما عدت أسمع عنه شيئاً قرابة سبعة أعوام إلى أن كان يوم أول مايو الماضي وكنت راكبة ترام الجيزة وكان الترام يسير مندفعاً نحو الجنوب على شاطىء النيل في جهة فم الخليج حيث النيل على يمين الطريق . وعلى يساره مباني تلك الآثار الضخمة الشاهقة التي بناها صلاح الدين الأيوبي لينقل عليها الماء من النيل الى القلعة ، وعلى حافة النيل في تلك الجهة أشجار التين الهندي الضخمة المتشعبة يستظلها الناس وقت الهجيرة ويتراكون تحتها في كثرة واختلاط يشوهان جمال هذه البقعة اللطيفة ، فهناك الأطفال المشردون والمتسولون

وباعة الفاكهة والأغذية القذرة والحلاقون الذين يفترشون التراب والعمال العاطلون وغيرهم وغيرهم من المتسكعين . . أوه يا حورية . . في هذه الجهة ، والترام يسير سريعاً ، كانت عيني على كل ذلك وفجأة لمحت ، في غمار هؤلاء الناس ، فريداً . . أجل فريد بعينه قائد أوركسترا ملهى الكارلتون الذي لم أره من ثماني سنوات . . هو هو بعينه . . عرفته رغم أنه كان يرتدي ملابس متواضعة جداً — منامة منزلية من قماش شعبي رخيص فوقها سترة . . ولست أدري ما الذي حملني على النزول من الترام حين وقف ، والعودة الى هذا الفريد ؟ . إننا يا أختي على الرغم من ميلنا للرجل المرح الفاجر المتلاف وتفضيله على غيره من الرجال المتزنين المستقيمين ، نميل في أعماقنا الى الرجل المستقيم الفاضل حتى ولو لم يكن هناك أمل أو مطمح لنا فيه . ونزلت وعدت الى الوراء نحوه . حتى صرت قبالته . . إنه واقف أمام عربة صغيرة قذرة عليها وريقات صفراء هزيلة هي بقايا كتب قديمة يعرضها للبيع رجل أشيب ، ووقف حولها بضعة من الناس يقلبونها وينتقون منها ما يروقهم ثم يساومونه على ثمنها . . ولما صرت قبالة فريد ، وقفت مبهورة ولم أجرؤ على محادثته حتى رفع هو عيناه ووقعتا عليّ فما اهتمّ بي ، وعبرني بنظره إلى ما كان بيده من هذه الكتب القديمة ، ولم أطق صبراً فناديته . أستاذ فريد . فالتفت نحوي ثم جاء إليّ يحييني بفتور ، ولكنني ضغطت يده بحرارة وشوق وقلت له : أين أنت يا رجل كل هذه السنوات الطويلة ؟ وتمتم بقوله : في الحياة . قلت له ما هذا الذي في يدك ؟ قال ، انتظري حتى أعطي الرجل ثمن الكتاب . وبعد أن عاد سألته عن الكتاب الذي معه وجذبته — أعني الكتاب — من يده وقرأت عنوانه ، « دلائل الخيرات » فقلت له : ما معنى هذا ؟ فابتسم وقال : إسم كتاب . قلت : ماذا فيه قال : كلام يقرأه الناس المتدينون قبل الصلاة وبعدها فيه عبادة وتوسل الى الله واستغفار من الذنوب والآثام ، وعقب ففتح الكتاب وأخذ يقرأ منه كلاماً ضحكت منه كثيراً ومع ذلك لا أنكر يا حورية أنني كنت أحس له وقعاً في أعماق نفسي ! . .

وطال بنا الحديث ونحن وقوف الى حاجز الشاطىء الحديدي . . وقصّ عليّ فريد حديثاً عجيباً . قصّ عليّ كيف نجح في الاسكندرية نجاحاً باهراً وكيف أنشأ ملهى نجماً للموسيقى ملأت الاسكندرية سمعته ونجاحه الكبير . وقصّ عليّ كيف كان معارضاً

لنفسه في انشاء هذا الملهي الذي كان يزيده للموسيقى فقط ، فانزلق حتى باع فيه الخمور وصار ملهى تقتل فيه الفضائل ويغشاه الجنود والراقصات . . وقال لي فريد : انه كان يعد نفسه بهذا العمل خارجاً على ناموس الفضائل وقواعد الاجتماع النظيفة ، وان أخلاقه واستقامته كانتا تنغصان عليه حياته وتجعلانها جحيماً لا يطاق .. هو الرجل المستقيم الطاهر يدير ملهىً للرقص والخمر والرذيلة ؟. ويدفع أيضاً الرشا لرجال الأمن وحماة الآداب ؟ . . أجل هو يفعل هذا ، وهو ثائر على نفسه غير راضٍ عنها من أجل هذا . ولكن شيئاً واحداً لم يرضَ أن يفعله ولو قد فعله لارتفع وارتفع . هذا الشيء الذي لم يفعله هو تقديم النساء .. النساء كلون من ألوان الرشوة .. أبداً .. أبداً لا يقدم النساء . وأبداً لا يكون قوّاداً . . واذن فليتعرض الملهى لمعاكسات رسمية واضطهادات سافرة وتحرير مخالفات له وعدم حمايته وحمايةً ملهاه من عبث الجنود المعربدين وإذن فليخسر وليخسر . . وليفشل المشروع الضخم بعد نجاح كبير . وليصفي الفنان حسابه وليحجز أصحاب الديون على أثاث الملهى وليخرج فريد هذا الفنان الكبير من الاسكندرية كلها كما دخلها خاسراً أكبر الخسران في هذه الأيام التي أثرى فيها حتى الحيوان ! . . وليعد الى بيته القديم المتواضع في عطفة السكر والليمون يرعى اخوته وأهله بعد موت أبيه ويرعى مع ذلك عبادته وفنه .. ثم يدعى للعمل قائداً للموسيقى في ملهانا هذا الذي نعمل فيه . هكذا حدّثني وتأثرت يا حورية وسال دمعي وفريد يقص هذا الحديث . كان يومها يتحدث وصوته المتهدّج كأنه لحن سماوي منبعث من قيثارته فيهتز له كياني . وختم حديثه بقوله : وأيقنت أخيراً يا سيدتي ، وبعد كل هذا ، أن ليس للانسان إلاّ عمله الصالح . أما الربح الطائل المحرّم ، وأما العبث الفاجر : وأما الاستهتار بالفضائل . . أما كل هذا ، فيذهب جفاء ! . .

* * *

ولم تكد زينات تفرغ من حديثها حتى كان طلاء وجهها ، قد أتلفه ذلك الدمع الغزير المنهمل من عينيها السوداوين الجميلتين ! . وحلّ موعد عملهما فقامتا اليه . ولكن زينات ! مالها الليلة ؟ وماذا أصابها ؟ ما هذا الجمود والثقل في الحركة ؟ ثم ماذا أصاب جمهورها المعجب

بها ؟ إنه لا يصفق لهـا كثيراً على عادته ولا يطلب تكرار نمرتها مراراً كما يفعل كل ليلة قبل الليلة ؟ أوه . . وما لروحها لا تتصل بأرواح جمهورها ولا تؤثر فيهم ؟

* * *

في اليوم التالي وفي وقت الأصيل ، كانت حورية تجلس في شرفة الملهى تنتظر صديقتها زينات وكأنها تنتظرحدثاً ذا بال . . وأقبلت زينات . . فأي إقبال هذا ؟ . . زينات ، الفتاة المرحة اللعوب الطروب الراقصة الفاتنة ، تمشي على استحياء ! وعليها مسحة من جلال ومهابة ! ؟ . . وحورية ؟ حورية هي الأخرى ، ماذا دهاها فألجمها عن استقبال صاحبتها بمداعباتها الغزلة الماجنة كعادتها ؟ . . وفوجئت حورية بزينات تحييها تحية جافة جادة : السلام عليكِ . ولم تشهق حورية ضاحكة ولا ساخرة من صاحبتها وإنما ردت التحية في وقار وجفاف ، أرغمت عليهما إرغاماً . . وجلست زينات وطلبت قهوة وراحت تحتسيها مع صاحبتها في سكون وصمت . ثم قطعت زينات الصمت بقولها : وبعد ، فياحورية ، لقد أتيت الآن لأودعك أيتها الرفيقة الحبيبة وأتمنى لك ولحياتك ، هذه الصاخبة الماجنة ، نهاية قريبة سعيدة ، كنهايتي . قالت حورية على الفور : أية نهاية ؟ خبريني يا أختاه . أسيتزوجك صديقك الجديد الثري ؟ قالت زينات : صديقي الثري ؟ . . كلاً يا صديقتي ، إنه صديقي الفقير المستقيم . . لقد انتظرته أمس بعد انتهاء العمل وصحبته الى منزله وأمضيت معه وقتاً طويلاً نقرأ في كتابه « دلائل الخيرات » . . يا صديقتي لقد آمنت معه . . آمنت بقوة أن ليس للانسان غير عمله الطيب وصفاء نفسه . . وآمنت معه بشدة أن الموسيقى والدين ـ كلاهما ـ يسموان بالنفس وينقيانها من الشوائب والأدران ، وأنهما يطهران الروح ويعلوان بها إلى عليين . . سأتزوجه ياحورية . . وسأحيا معه للدين والموسيقى . . لقد اتفقنا على ذلك . . وسأبقى معه في منزله المتواضع ، لا أبرحه أبداً ! . .

ثم قامت سريعاً ، وقبلت صديقتها ، وتركت الملهى إلى منزل الزوجية .. الى منزل فريد الموسيقار حيث الطهر والاستقامة و . . كتاب دلائل الخيرات ..

محمد طلبه رزق

٢٠٠ ألف دولار

تبرع لبناني لمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت

السيد ريكاردو يافت يقدم الى الدكتور فيليب حتي تحويلا بمبلغ ٢٠٠ ألف دولار لهذه المؤسسة

تردّد نبأ الهبة التي جاد بها ورثة المرحوم نعمة يافت اللبناني لبناء مكتبة في الجامعة الأمريكية ببيروت وهي مائتا ألف دولار. وقد وصفها مكتب جمعية الكليات الأمريكية في الشرق الأدنى بأنها أكبر هبة في سبيل العلم جاد بها مهاجر من أصل عربي.

أما الواهبون فهم أرملة المورث وأولاده السبعة. وكان المرحوم نعمة يافت من أثرياء المهاجرين اللبنانيين الذين توطنوا البرازيل وتعد الشركة التي أسسها باسم شركة يافت وأولاده من أعظم الشركات الصناعية التجارية في البرازيل ولها عدّة فروع، ومن مؤسساتها وممتلكاتها مصرف ومنجم ومصنع للغزل والنسج لا نظير له في تلك البلاد. وستعرف المكتبة باسم مكتبة « نعمة يافت » وتكون أول منشأة تحمل إسماً عربيًّا

ومما يذكر عن المورث أنه ولد سنة ١٨٦٠ في بلدة الشوير بلبنان، وتخرَّج في الكلية السورية الانجيلية ببيروت، وقد أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية. وكان من رجال العلم، مولعاً بعلوم الرياضيات وله مؤلف في الحساب وقد أسس الأكاديمية الشرقية ببيروت سنة ١٨٨٠ وهاجر الى البرازيل سنة ١٨٩٣ وتوفي فيها سنة ١٩٢٤.

ولأسرته شهرة في أعمال البر كشهرتها في أعمال التجارة. فلا يخلو مشروع وطني أو خيري في البرازيل من أثر كرمها. واعترفت بلدية سان باولو بفضلها فدعت شارعاً باسمها.

مكتبة المقتطف

١ — صحائف مطوية

لمعالي احمد لطفي السيد باشا

لهذه الصحائف أكثر من جانب يمهد لها سبيل البقاء ، ويخلع عليها هذه الحلة التي تصل بينها وبين القلوب ، وتجعلها محط العناية من الأذهان المتعطشة إلى هذا المنهل التاريخي للارتواء منه ، لأنها الاطار الذي يضم صورة رائعة من التاريخ المصري . ونموذج من تلك الحوافز التي تستثير الأمم . فتهب صارخة في وجه من يأخذ عليها طريق الحياة الحرة الكريمة ، والذي يعطي هذه الصحائف كل هذه الاهمية . أنها سجلٌ دقيقٌ لهذه الحالة النفيسة ، والشعورية ، والعقلية ، التي تلبست هذه الأمة في فجر نهضتها ، ولا يرمى الكاتب بالمغالاة عند ما يعلن . أنها سجلٌ صادقٌ لهذه الفترة ، لأنها قد كتبت تحت تأثير هذه العوامل والحوافز ، وصوّرت بهذه الألوان الشعورية النفسية التي كانت يعمل الظروف على تلوينها من يأس ، ورجاء ، وتحفز ، وإستنهاض ، ومقارعة لحجج طاغية ، ظالمة ، وتفنيد لمزاعم ، والمصاولة في ميدان الرأي ، ولا شك أن هذا الصراع المخيف ، المريب ، يأخذ أكثر ما يأخذ دائماً من تلك النفوس التي تمتاز بالاحساس المرهف ، والقلوب التي تزخر بالعواطف الوطنية الانسانية ، والخواطر التي تجيش بمختلف النوازع الانسانية الرفيعة ، وهل تنال هذه الأحداث من شخصيات ما تناله من تلك الشخصيات . ذوات المذاهب الملتهبة ، وأصحاب المثل العليا في الحياة ، فوقف — لطفي باشا — من تلك الثورة التي أشعلت كل شيء . موقف لسانها الناطق ، وقلمها المسطر ، ومصوّرها الحاذق ، ولا يتهيأ الوجدان الحي ،

المبدع ، لنقل هـذا الجو كله ، كما يتهيأ لمن يستوحيه ، وهو تحت تأثيره ، ويستمليه كل ما يمكن أن يمليه ، أو يوحيه ، مما يطبعه بطابع خاص ولون لا يحول ، فجاءت هذه الصحائف مرجعاً ، أميناً لمن تهفو روحه ، ويتطلع ناظره إلى مشاهدة تلك الفترة العصيبة الحافلة ، في تاريخ الأمة المصرية . فكم يعاني المؤرخ من المتاعب ، ويتحمل من الجهود عنـد ما يحاول التأريخ لفترة ، أو يرسم صورة لحقبة من الحقب . قد باعد بينه وبينها الأمد ، واستطاعت الحوادث المتدفقة ، المتغيرة ، المستمرة . في غير هدوء ، ولا هوادة ، ولا كلال ، أن تطمس كثيراً من الألوان التي كانت برّاقة في حينها ، ويعفى على معالم كان لها بروزها في ماضيها ، وشخصيتها في ميدانها ، وأن تبرز أخرى بفعل الزمن ، ومخلوقات الظروف والمصادفات ، وما تعمله البيئـة التي هو ثمرتها في عقله وخياله ، وحكمه على الأشياء ، وتصوره للحوادث مع الاختلاف الذي يكثر حيناً ، ويقل أحياناً ، فمهما كانت استعانته بما بقي بين يديه من المواد التي يريد البناء منهـا ، واتخاذها وسيلته ، ومهما يجهد في تخلصه من بيئتـه ، ومحاولة إندماجه في العصر الذي يريد تصويره يشط منه كثير من الأوابد التي تستعصى على الغيد ، ويعز عليه أيضاً كثير من الدوافع ، والبواعث التي كان لها سلطانها ، ثم دالت دولتها ، وعفى عليها النسيان ، أترى لو أن قلماً من هذه الأقلام التي لم تلابس هذه البيئة ، وتعيش مع هذه الأحداث في ميلادها ، وطفولتها وشبابها : يستطيع أن ينقل إليك هذه الصورة التي نقلها إلينا قلم ـ لطفي باشا ـ ليس هذا في مقدوره ، ولا طوع إرادته ، وما هو قلم لطفي ؟ وما ذهن لطفي ؟ وما منطق لطفي ؟ وما اتزان لطفي ؟ وما ثقافة لطفي ؟ إن هذه الخصائص ، والمواهب التي تحملها هذه الشخصية يعز مثلها كثير في كل أمة ، فـكل شيء يزكي هذه الصحائف . فليس هو بالقلم الجزل ، ولا بالذهن الـكليل ، ولا بالمنطق المعتل ، ولا بالثقافة الضحلة . بل قد استكمل كل هذه الجوانب على أكمل ، وأتم ما تـكون هذه المواهب ، هذه بعض الجوانب العامة ، ولهذه الصحائف جوانبها الأخرى من حيث الـكشف ، والابانة عن ناحية من نواحي عبقرية — لطفي باشا — هذه العبقرية التي هي خليقة بالدراسة ، والتحليل ، وفاءً بحق التاريخ وأمانة نسلمها للأجيال المقبلة وضنـا بهذه الشخصيات التي لها في التراث الانساني ثمرات ناضجة ، وفي توجيه أمتها أعظم الأثر ، بهذه الرسالات القيمة التي أدتها ، وتحملت عبئها ،

وهل يتهدى للباحث أن يقدم ترجمة صادقة دقيقة ، لشخصية لطفي باشا — إذا ظلت هذه الجوانب محجوبة ؟ أليس المترجم لشخصيات تاريخنا العلمي ، أو الأدبي يصطدم دائماً بهذه الصخرة التي توهي قرن كل من يحاول كتابة حياة . ما دامت تقف حياله هذه المعضلة . معضلة اختفاء جانب من جوانب شخصيته الفكرية وضياع أثر من آثاره ، أيستطع مثلاً مؤرخ أن يزعم بأن في مقدوره إعطاءنا ترجمة وافية بكل جوانب شخصية مثل ـ الجاحظ ـ ما دامت بعض آثاره لا تزال في طيّ الخفاء ، أليس هذا المذهب يحمل كثيراً من الصواب عند ما يعلن ضرورة اتخاذ آثار الرجل مفتاحاً لشخصيته ؟ لأنها هي السبيل الوحيد ، المأمون لمعرفة هذه الشخصية ، وللأستاذ الكبير — اسماعيل مظهر — جهوده الموفقة ، المشكورة في سبيل تزويد الجيل بثمرات أستاذ الجيل ، أمدّ الله في بقائه ، وأعانه على تأدية رسالته — الارسطاطاليسية — التي يجاهد في تبليغها ، والتي يقف عليها أنضج أطوار عقله لتمكين جيله من معرفة ـ أرسطو ـ وتذليل الصعوبات للانتفاع به .

٢ — الرسالة الخالدة

لمعالي عبد الرحمن عزام باشا

قوبلت هذه الآراء القيمة في أصول الدعوة الاسلامية التي ضمنها ـ معالي عزام باشا ـ رسالته الخالدة وتناوله لمسائلها بهذا الاسلوب الدقيق الطلي ، واقامة الأدلة على صلاحيتها للأخذ بيد الانسانية المتعثرة الحائرة في مهب عواصف المذاهب المتسلطة ، وإعلانه ألاّ ملجأ لها بعد أن نالت منها الشدائد ، وأهوت قواها الحروب ، واستنفدت مذخورها الأهوال ، إلاّ الاعتصام بهذا المرفأ الأمين المريح ، مرفأ الشريعة الاسلامية ، وقد قابلت الأمة هذا النداء بما تقابل به الدعوات الحبيبة . التي تبتعث الحين بعد الحين ، فكأنها تنفس عن كل قلب ، وتهدىء كل خاطر ، وترد عاذب كل أمل ، فالقول بأن الرسالة الاسلامية ، رسالة إنسانية عامة تتطلبها كأحوج ما تكون إليها ، أصبح من البدائه التي تنزل من القلوب منزل الايمان الراسخ ، وكل ما يهفو إليه العالم هو رفع هذه الغشاوة ، وإزالة هذا الصدأ عن تلك التعاليم التي طال ثواؤها تحت الأتربة التي كدّستها فوق بريقها ، وأثارت السحائب على

وضاعفتها المحن، والنكبات التي اصطلحت على المجتمع الاسلامي، ووكلت به كل شر، وأنزلت بروحه من الفوادح ما تركه مهيضاً، واهي القوى، ينوء تحت عبء الاعباء، وبات روحه ضاوياً هزيلاً، من طول معاناته، ومغالبته، وصموده، حتى إذا هتف الصوت الذي يبشرهم باقتراب فكاكهم من إسارهم، وبالنور من ظلامهم، تلقفته الآذان في شوق، وتجاوبت بألحانه الأفئدة في ولع، وأخذتهم نشوة من يستشعر دبيب القوة يسري في أقطار جسمه، وإنماء كيانه، فأثر أمثال هذه الدعوات لا تحده الدائرة الفكرية، ولا نستطيع أن ننشر الجوانب العقلية كله، بل هو يفيض، وينال في أطواء الشعور، ويتدفق لطيفاً، هادئاً، منعشاً في ثنايا الاحساس، وتنبض به الآمال الذاوية، الذابلة، فاذا ما أخذت الأمة تنفعل من هذه النواحي، وتجيش عواطفها من هذه الطرق، وتدب الحياة قوية في نوازعها بهذه الأساليب، فقد شاعت فيها روح الشباب، وامتلأت بعنفوانه، وتألقت بهجته فاذا ما استطاعت الدعوات أن تنقل الأمة هذه النقلة، وتفيض على روحها من هذا الفيض فقد أدت خير ما يمكن أن تؤديه، وما كان يعوز تلك الرسالة وقد أخذت تنقشع الغمة التي طالت، وثقلت، غير هذه العقليات التي زودت بألوان الثقافة، وأكسبتها التفكير الطويل والتجارب المتعددة والقدرة على النقد، والتمييز بين الصحيح، والسقيم، من الأفكار، وان تمد بصرها لاستبطان هذه النظم التي تسيطر على العالم، وتكيف موقفه، وتتحكم في مصيره، فاذا ما رزقت الدعوة المحمدية هذه القرائح والاقلام لتقدمها بريئة من الشوائب التي تشوبها وتدفع عنها تجني الظلم، وتقيها اجحاف الطغيان فقد استطاعت أن تسترد موقفها وتتابع رسالتها في مجرى التاريخ، وبناء الحضارة العالمية، ومعالي — عزام باشا — شخصية قد أتاحت لها ظروفها أن تساهم في السياسة، والاجتماع، وغيرها، ويفهمها فهماً جيداً، وإدراك تلك التيارات التي كانت تجري في الخفاء، ولا تستطيع العين البعيدة أن تأخذها، وقد فرغ من كل تلك الدراسة: والمشاركة في التوجيه، والإشراف العقلي، بنتائج لها خطرها وأثرها في الحياة السياسية، والاجتماعية، والروحية وهي أنه لا أمل في نجاة العالم، ولا مفرّ له من تلك الأهوال التي يكتوي بلهيبها ما دام يعتنق تلك المبادىء التي لا يمكن في نظره — ونظر العقل السليم — أن نستأصل الداء، ولا حيلة في تكرر المأساة بين حين وآخر ما ظلّ

العالم تسيطر على روحه تلك المذاهب المادّية الملغمة ، ولا ملجأ له إن أراد أن يحيا حياة هانئة متآخية إلاّ أن يمكن من قلبه تلك المبادىء الخالدة التي حملها الرسول العربي الى العالم. ورياضة عقله على تمثلها ، واجتثاث بذور التعصب الأعمى ، والتحامل البغيض حيال تلك الدعوة المهذبة السامية ، وقد جاءت هذه الرسالة التي يقدمها — عزام باشا — دليلاً على مبلغ تمكن ذهن هذا الرجل ، وصفائه ، وإلمامه بدقائق تلك الدعوة ، وخفايا معضلات حياتنا الحاضرة، ومنطقه البارع في مناقشة ما هو بسبيله ، وتقديم رسالته الجديدة في سبيل رد تلك الإتهام التي تلفقها الأغراض المدخولة ضد الدعوة الاسلامية ، فما أحوج الأمة الاسلامية ، وهي محط ألوان كثيرة من المذاهب ، والدعايات أن ينهض من يملكون هذا المنطق ، المزوّدين بتلك الثقافة أن يبعثوا لهذا الجيل بريئاً من كل شائبة ، كلٌّ في ناحيته يتولى علاجها ، فنقيم الحجة للعالم أجمع على أن هذا الدين أكمل رسالة عرفتها البشرية ، وأنّ رسوله المثل الكامل للانسانية ، وأنّ أمته خيرُ أمّةٍ أخرِجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر .

٣ — يسألونك

للاستاذ عباس محمود العقاد

ملكات ثلاث . تتساند في سبيل إبراز الإنتاج الأدبي : ملكة التفكير : ومجالها التحليل ، والمنطق ، وملكة الخيال ، ورسالتها التصور والتصوير ، وملكة الأداء وتتجلى في الأسلوب ، وقبل أن تتآخى ، وتتعاون ، في نتاج كاتب كما نظر في نتاج الأستاذ — العقاد — فسلطان الفكر . الحر ، يطالعك في كل ما يقع عليه طرفك : والخيال المصور اللطيف ، تتراءى أطيافه في كل مجال ، وملكة الأداء ، تبرز جليّة ، ناصعة محكمة ، في هذا التسلسل ، المنسجم ، في إحكام ، فلا حشو ، ولا اضطراب ، ولا فضول ، بل هو أسلوب صريح . لا رغوة فيه . وأظهر ما تظهر هذه الملكات الثلاث في هذا الكتاب ، فهو مقالات متفرقة ، وليدة ظروف متباينة ، ولكن هناك فكرة تربط بينها ، وتجمع بين أطرافها ، هي . اسلوب الدفاع ، وقوة التحليل ، إذ هذه المقالات استجابة لأسئلة أثارها بعض القراء

فتصدَّى للكتابة عنها ، وقضايا اختلط على كثير من العيون وجه الرأي فيها ، فتولى دراستها ، وفيها تبرز تلك الملكة على أتمها ، عند – العقاد – . فهو لم يتصدَّ للفصل في هذه القضايا بملكة الأديب فقط ، فما أقل غناءها . وحدها في هذا المجال ، بل بمواهب القاضي ، وقريحة الفيلسوف ، وبداهة الأديب ، فلا يسعك . إلاَّ أن تحمد له تلك اليد التي أزالت ما كان يعتلج في نفسك ، ويبلبل خواطرك ، ويروض ذهنك على هذا الأسلوب الفكري ، المستقيم ، ومعاونته على أن ينفذ إلى الحقائق ، ولا يظل طافياً على السطوح ، وأن يلج الى البواطن فلا تحتجزه الأسوار ، وعندي أن شيوع هذا النوع من الكتابة تكون له آثاره العميقة في الأقلام الناشئة ، والملكات الوليدة ، فيحول بينها ، وبين لوثة الثرثرة الجوفاء ، ويباعدها عن الولع بالبريق الخلاّب ، تتبين كل هذه الخصائص في كل مقال في هذا الكتاب ، أنظر إلى نمط تناوله ، وعلاجه ، لهذه النكسة التي تحمل بعض الناس على الدعوة الى اتخاذ العامية مراعاةً لشعور الفقير لغة نستخدمها في شؤون الفكر ، والأدب . فيرد قائلاً في مقالته العامية والفقر – العامية قبل كل شيء هي لغة الجهل وليست بلغة الفاقة ، أو اليسار ، وبين الأغنياء كثيرون لا يحسنون الكلام بغير العامية . التي لا جمال لها ، ولا طلاوة ، وبين الفقراء من يحسنون التعبير بالفصحى ، أو يعبرون بالعامية تعبيراً يزينه جمالها ، وتبدو عليه طلاوتها ، فاذا عطفنا على العامية فإنما نعطف على الجهل ، ونستبقيه ، ونستزيده ، ولا نخفف وطأة الفقر ، ذرَّة ، واحدة بتغليب عبارات الجهالة على العبارات التي تصاغ بها آراء المتعلمين ، والمهذبين .. وماذا يفيد الفقراء أن يسكن الأغنياء الأكواخ ، وماذا يفيد الفقراء أن يتكلم المتعلمون لغة الجهلاء ، وماذا يفيد الفقراء أن تساويهم في الحرمان من المال ، والعلم ، ومن الفصاحة ، وقدرة التعبير ، انما يفيد الفقراء أن تصبح أكواخهم قصوراً ، أو كالقصور في الاراحة ، وتصحيح الأبدان ، وإنما يفيدهم أن يكون نصيبهم من اللغة كأحسن نصيب يتعلمه المتعلمون . فان لم يبلغوا هذا المبلغ فالفائدة ألاَّ يكون نصيبهم منها أحقر نصيب ، وألاَّ نسجل عليهم هذه الحالة المزرية كأنهم لا يصلحون لغيرها ، ولا يطمحون الى ما فوقها .

على هذا المنوال ينسج مقالات ، وبحوث هذا الكتاب ، وقد صدَّره بمقدمة قيمة في

أدب المقالة . أدارها حول نشأة هذا الفن في الأدب العربي ، وامتزاجها بأدب الفصول وأدب المقامة ، وفي الآداب الاوربية وعرج على تحليلها ، وكل مقالة من هذه المقالات تستقل بفكرتها ، وتمتاز بتركيزها ، حتى ليجد فيها من يتعهدها وينميها ، كتاباً مستقلاً ، ويكاد يكون هذا طابع — العقاد — في كل ما يحاوله من هذا الضرب من المقالات ، ولم يتعدَّ حدود الواقع في اعلانه أنه ينبغي أن تكون المقالة مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للاجمال ، ولا يتسع للتفصيل ، فكل مقالة في موضوع فهي كتاب صغير يشتمل على النواة التي نبتت منها الشجرة لمن شاء الانتظار ، وأوجز ما يقوله الناقد في أمثال هذه الأبحاث ، انها من قبيل الفلسفة الأدبية ، أقرب منها الى أي شيء آخر .

محمد عبد الحليم ابو زيد

أعمدة التلغراف

نشر الأستاذ عبدالله المشنوق في مجلة « الأديب » البيروتية قصة بعنوان « البؤس المكتوم » سرق الفكرة الرئيسية فيها من قصة نشرها المقتطف في عدده الصادر في مارس سنة ١٩٣٨ نقلاً عن الروائي المعروف الكسندر غلواكي البولوني بعنوان التلغراف .

ونحن ننقل هنا ختام القصتين ليكون ذلك حكماً بين المقتطف وحضرة الأديب المشنوق

قال المشنوق — « لست أدري لماذا انتقل فكري — ساعتئذٍ — الى التلغراف .... لست أدري ، ولكني أعلم حق العلم اني ربطت في ذهني هذا الحادث بما يجري عادةً عند ما يرسل الى أحدنا برقية . فهناك محطة مرسلة ترسل النبأ . وهناك أسلاك مركزة على أعمدة تنقل النبأ ، وهناك محطة لاقطة تتلقى النبأ ، هذا هو التلغراف . المحطة المرسلة هنا هي هذا البائس المصدور وأطفاله الخمسة ، والمحطة اللاقطة هي البائس المعلم ، وأما أنا ، وأما صديقي التاجر المعتبر ، وصديقي الصناعي الكبير ، والطبيب المثري الكبير — أولئك المعتذرون جميعاً — فقد كنا أعمدة التلغراف » .

وقال غلواكي كما نشره المقتطف : « ان وقوع هذه الحادثة في أثناء وجودي معك — وأنت أستاذ لفلسفة الطبيعيات — أخطر ببالي فكر المخاطبة التلغرافية بطريقة جديدة .

فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامى والمكتب الذي تسلمه كان العامل في مصنع القبعات . فلما أشار الأول مسترعياً الانتباه لبّاه الثاني من فوره . وعندما صرّح ذاك بحاجته بادر هذا الى قضائها . أما نحن الباقين فكنا — كلنا — أعمدة التلغراف »

فليعتذر الأستاذ المشنوق ولكن الى غلواكي فالمقتطف متنازل عن حقه.

مكتبة المقتطف

ننوه بهذه الآثار الفكرية في هذه العجالة وموعدنا بنقدها قريب

١ * اوديب — تيسيوس : ترجمة طه حسين عن اندريه جيد : ٣١٠ صفحة من القطع الأوسط : دار الكاتب المصري .

٢ * الناطقون بالضاد في امريكا : نشره بالانكليزية معهد الشئون العربية الأمريكية في نيويورك سنة ١٩٤٦ وترجمه وعلق عليه « البدوي الملثم » : ١٠٠ صفحة من القطع الكبير : المطبعة التجارية بالقدس .

٣ * الاقطاع والديوان في العراق : تأليف عبد الرزاق الظاهر : ١٦٨ صفحة من القطع الكبير : مطبعة السعادة بالقاهرة : ١٩٤٦.

٤ * ترجمة الامام احمد بن حنبل ١٦٤ _ ٢٤١ هـ. نقل عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي (٧٧٣ _ ٧٤٨ هـ) حققه الأستاذ الثبت احمد محمد شاكر : دار المعارف للطباعة والنشر : ٨٤ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٦ .

٥ * السلام الاجتماعي : تأليف الأستاذ الحر عبد المجيد نافع المحامي : ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير ، نشرته دار الفكر العربي ، ١٩٤٦ : وسننشر عنه نقداً في العدد التالي من المقتطف.

٦ * تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : تأليف الأستاذ يوسف كرم المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول : ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير : نشرته دار الكاتب المصري : ١٩٤٦

٧ * أؤمن بالانسان : تأليف الأستاذ عبد المنعم خلاف : ٢٥٦ صفحة من القطع الأوسط نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة : ١٩٤٦ .

٨ * تاريخ مصر في عصر البطالمة : جزآن صفحاتهما ٩٣٠ من القطع الأكبر : تأليف الدكتور ابراهيم نصحى أستاذ مساعد التاريخ القديم بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول : نشرته مكتبة النهضة المصرية ، وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ١٩٤٦

٩ * مدونة جوستنيان في الفقه الروماني : ترجمها عبد العزيز فهمي باشا : ٤١٠ صفحة من القطع الكبير ، دار الكاتب المصري : ١٩٤٦ ، ويلي متن المدونة نظام للمواريث وضعه جوستنيان ويليهما بعض قواعد وتقريرات فقهية رومانية وبعض تقديرات أخلاقية .

١٠ * نبي الاسلام : The Prophet of Islam تأليف السيد محمد علي ، وهي مكتوبة بالانجليزية واقعة في ٤٦ صحيفة من القطع الصغير ، وقد طبعت أربع طبعات متوالية بين ١٩٢٨ و ١٩٣٨ ، وحبذا لو أقدم أحد ابناء العروبة على ترجمتها الى العربية .

فهرس الجزء الاول

من المجلد العاشر بعد المئة

١ النساطرة في أسيا : اسماعيل مظهر
١١ الفكر العربي لا يزال في الأغلال : مسلم حر
١٧ المحاكم المختلطة في تاريخ مصر القديم : دكتور باهور لبيب
١٩ ألعوبة الحرية : حسين المهدي غنام
٢٨ الشتاء (قصيدة) : شاعر البراري
٢٩ نتحدّى ! : اسماعيل مظهر
٣١ كتاب من الدكتور طه حسين عن القضية العربية
٣٢ الكنوز النفيسة في القامات الخسيسة : عوض جندي
٣٥ تخريج كتاب الملل والنحل للشهرستاني : محمد بن فتح الله بدران
٤٣ الكلوري والحرارة : عباس مهدي
٤٤ الى النيل (قصيدة) : عفيفي محمود عفيفي
٤٥ صحافتنا تنحدر : ا . م .
٤٨ واجعل خيالك واقعاً أو مت عنا (قصيدة) : أيوب
٤٩ واجب الشاب العربي : أحمد الشرباصي
٥٦ قصة للتاريخ : شكري شعشاعة باشا
٦٣ كيف نعيش مئة عام : أحمد أبو الخضر منسي
٦٧ دلائل الخيرات : محمد طلبة رزق
٧٣ ٢٠٠ ألف دولار — تبرع لبناني لمكتبة الجامعة الاميركية ببيروت
٧٤ مكتبة المقتطف * ١ — صحائف مطوية : لمعالي أحمد لطفي السيد باشا . ٢ — الرسالة الخالدة : لسعادة عبد الرحمن عزام باشا . ٣ — يسألونك : للاستاذ عباس محمود العقاد : محمد عبد الحليم أبو زيد . أعمدة التلغراف . لمكتبة المقتطف

لحق